مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد 32، العدد (3)، ص ص 103 - 144، الرياض (2020م/1442هـ)

الآيات التي ورد فيها تصديق القرآن الكريم للكتب السابقة وهيمنته عليها وبيان افتراءات النصارى في ذلك وموقف علماء المسلمين منها دراسة نقدية

محمد تيقمونين*

جامعة الملك خالد

(قدم للنشر في 05/ 05/ 1441هـ؛ وقبل للنشر في 16/ 07/ 1441هـ)

المستخلص: اعتنى هذا البحث بمحاولة إبطال استدلالات النصارى المعاصرين بتصديق القرآن للكتب المنزلة وهيمنته على صحة الكتاب المقدس لديهم، فكان من أهم أهدافه: جمع جهود أهل العلم في بيان معاني كتاب الله تعالى، والرد على شبهات النصارى في تمسكم - بزعمهم - ببعض النصوص القرآنية؛ لترسيخ كون الكتاب المقدس لديهم موحى من عند الله، ومعصوما من وجود الأخطاء والتحريف والتبديل والتغيير، سالكا فيه المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتحليل والاستنتاج وفق منهجية كتابة البحوث العلمية، وتم فيه التعريف بالنصارى وبالكتاب المقدس لديهم، ثم معرفة منزلة الإيمان بالكتب عند المسلمين، والإيمان بوقوع التحريف في الكتاب المقدس لدى النصارى، ثم تم عرض ما يدعيه النصارى من أن تصديق القرآن للتوراة والإنجيل دليل على صحة الكتاب المقدس لديهم الآن، وإبطال ذلك الافتراء، وبيان دلالة نصوص القرآن الكريم على التصديق والهيمنة، وتوضيح موقف علماء الإسلام من دعوى النصارى، ثم تم تعداد أوجه تصديق القرآن وهيمنته على الكتب المنزلة على رسل الله تعالى، ومن أهم النتائج: تصديق القرآن الكريم للكتب السابقة، وبيانه لوقوع أهل الكتاب في التحريف، وكتمان الحق، وإخفائه، ومن التوصيات: دراسة القضايا التي يقصد النصارى من خلالها الطعن في الإسلام وفي القرآن.

الكلمات المفتاحية: النصارى، الكتاب المقدس، التحريف، القرآن.

The verses in which the Holy Qur'an confirmed the previous heavenly books and its influence over them and demonstrating falsehoods of Christians in that and the attitude of Muslim scholars regarding it as a critical study

Mhamed Tiguemounine*

King Khalid University

(Received 31/12/2019; accepted for publication 11/03/2020)

Abstract: This research was concerned with trying to nullify the contemporaries of the Christians with the Qur'an's endorsement of the revealed books and its dominance over the authenticity of the Holy Book. To consolidate the fact that they have the Bible as inspired by God, and infallible from the existence of errors, distortion, alteration and change, walking through it the descriptive approach based on induction, analysis and conclusion according to the methodology of writing scientific research, and in it the Christians and the Holy Book were introduced to them, then knowledge of the status of faith in books among Muslims, and faith By the occurrence of distortion in the Holy Book among the Christians, then what the Christians claim that the Qur'an ratification of the Torah and the Gospel is evidence of the validity of the Bible they now have, and the invalidation of that slander, explaining the meaning of the texts of the Holy Qur'an on ratification and dominance, and clarifying the position of Islamic scholars on the Christians 'claim. Aspects of ratification of the Qur'an and its hegemony over books revealed to the Messengers of God Almighty have been enumerated, and among the most important results: the Qur'an's ratification of previous books, and its statement that the People of the Book fall into distortion, conceal the truth and conceal it, and among the recommendations: Study the issues through which Christians intend to challenge Islam and its The Quran.

Key words: Christians, the Bible, distortion, the Qur'an.

(*) الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة كلية الشريعة وأصول الدين - جامعة الملك خالد.

(*) Assistant professor at department of Doctrine and contemporary Trends of Thought – College of Shariah and fundamentals of Religion – King Khalid University.

البريد الإلكتروني: *e-mail: atigmonin@kku.edu.sa*

المقدمة

إن الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفره ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له ومن يضللْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ (آل عمران: 102)، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ (النساء: 1)، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: 70-71).

أما بعد: فإن الله ﷻ أنزل كتبه على أنبيائه ورسله، هداية للناس، ورحمة بهم، وإقامة لدينه، وشرعه، وأنزل آخر كتبه وخاتمها، وأشملها، وأعظمها، وأحكمها، وهو القرآن الكريم على أفضل رسله عليهم السلام، فجمع في ذلك الكتاب محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره، فكان مغنيا عما قبله من الكتب، فلهذا جعل الله القرآن الكريم شاهدا وأمينا وحاكما على جميع الكتب التي نزلت قبله، وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة، فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر: 9).

فكان هذا القرآن العظيم شاهداً بصحة الكتب المنزلة، وحافظا لما فيها من أصول العقائد والشرائع المتفق عليها بين الرسل، وناسخاً لما خالفه منها، ومؤتمناً عليها مبينا ما حرف منها، وما بدل، وغُيِّر.

مشكلة البحث:

تكمن في أن بعض النصارى المعاصرين أرادوا أن يلبسوا على الناس دينهم، ولا سيما المسلمين منهم، فأتوا إلى تلك النصوص التي دلت على تصديق القرآن للتوراة والإنجيل والزبور التي أنزلها الله على أنبيائه، فحرفوا معناها، وزعموا أنها دالة على صحة الكتاب المقدس الموجود لديهم الآن، وأن القرآن قد حفظها من التحريف والتبديل – وبئس ما زعموا –. فتصدى العلماء لتلك الحملات وفندوا زيفها، وأبطلوا كل شبهة تعلق بها أولئك النصارى. فحاولت في هذا البحث أن أجلي هذا الموضوع، وأجمع كلام المحققين من أهل العلم في بيان هذا التحريف الذي مارسه أهل الكتاب على كتبهم، وزادوا معه تحريف معاني القرآن الكريم لتصحيح معتقداهم الباطلة، وآرائهم الفاسدة، فوقع اختياري لعنوان البحث: «الآيات التي ورد فيها تصديق القرآن الكريم للكتب السابقة وهيمنته عليها وبيان افتراءات النصارى في ذلك وموقف علماء المسلمين منها دراسة نقدية».

الدراسات السابقة:

ومن خلال اطلاعي على ما كتب من دراسات سابقة، وقفت على ما يلي:

1 – أدلة النصارى على ألوهية المسيح ومعجزاته من القرآن الكريم، د. حمود بن إبراهيم السلامة. مجلة العلوم التربوية والدراسات الإسلامية بكلية التربية بجامعة الملك سعود.

2 – المسيح ألقابه ووفاته في القرآن الكريم، جمع ودراسة لشبهات النصارى على القرآن الكريم، د. حمود بن إبراهيم السلامة. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية بالكويت.

وهذان البحثان لا علاقة لهما لموضوع بحثي.

3 – الآيات والأحاديث التي استدل بها النصارى على عقائدهم جمعا ودراسة، لنوير الشمري، رسالة علمية بجامعة الملك سعود. ولم أقف على هذه الرسالة، ولعلها خاصة بالعقائد التفصيلية لدى النصارى، وليس هذا هو موضوع بحثي.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تتمثل أهمية الموضوع وأسباب اختياره في أمور عدة:

1 – بيان عناية أهل العلم بمعاني كتاب الله تعالى، وبيان الصحيح منها، ورد المفاهيم المغلوطة، وإبطال جميع الأساليب الملتوية التي تنشد تحريف كتاب الله تعالى.

2 – لم يزل كثير من النصارى المعاصرين – أسوة بمن سبقهم – يسعون إلى الطعن في الإسلام وفي القرآن، لدعوة المسلمين إلى الديانة النصرانية المحرفة المبدلة، وإخراجهم من دينهم، إلا أن علماء الأمة قد تصدوا لمثل هذه المفتريات، فأبطلوا مزاعمهم، لا سيما تلك الاستدلالات الخاطئة التي أرادوا بها تشويه كتاب الله.

3 – لم يكتف هؤلاء النصارى بزرع الشك بين المسلمين في كتابهم العظيم، بل راحوا يستدلون بالنصوص القرآنية على زعمهم بصحة الكتاب المقدس لديهم الآن، ولهذا قام أهل العلم بواجبهم تجاه هذه الشبهات فأبطلوها، وأوضحوا المعنى الصحيح لآيات كتاب الله تعالى.

4 – تعد أعمال هؤلاء النصارى المعاصرين حلقة متواصلة من صور الحقد الصليبي الذي يحملونه على الدين الإسلامي، وجهودا متتابعة للطعن في القرآن، والتشكيك فيه، ودعوة إلى عقائدهم الباطلة، ودينهم المبدل، ومن تلكم الأعمال: مدخل إلى الحوار المسيحي الإسلامي، يوسف درة الحداد، واستحالة تحريف الكتاب المقدس لمرقس عزيز خليل، وغيرهما من مؤلفاتهم. إلا أن الله تعالى قد قيض في الأمة الإسلامية من يبين عوار ما ادعاه هؤلاء النصارى، فدافعوا عن القرآن الكريم، وأوضحوا معانيه الصحيحة، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

5 – تنوعت وسائل بث التنصير عند النصارى، فلم يكتفوا بالتأليف للطعن في الإسلام والقرآن والسنة،

بل قد قدموا عدة خدمات في الشبكة المعلوماتية، وأسسوا مواقع إلكترونية، وقنوات فضائية لدعم مشروع التنصير والتشكيك في ثوابت الإسلام[1]. فكان من الواجب دراسة هذا الموضوع وإبطال ما ادعاه هؤلاء النصارى، وأن هذا الموضوع ما زال يطرح في شبكة المعلومات العالمية إلى وقتنا الحالي.

أهداف البحث:

يمكن توضيح أهدافه من خلال النقاط التالية:

1- بيان أن القرآن العظيم أنزله الله تعالى بالحق، وما من مبطل يستدل به على مآربه السيئة إلا وفي كتاب الله تعالى ما يبين زيف باطله، ويفضح مقصده بالأدلة الواضحة التي يستخرجها العلماء من دلالات كتاب الله تعالى.

2- جمع جهود أهل العلم في بيان معاني كتاب الله تعالى، والرد على شبهات النصارى في تمسكم -بزعمهم- ببعض النصوص القرآنية؛ لترسيخ كون الكتاب المقدس لديهم موحى من عند الله، ومعصوما من وجود الأخطاء والتحريف والتبديل والتغيير.

3- الجمع بين النصوص الواردة في كتاب الله تعالى التي دلت على تصديق القرآن الكريم للكتب التي أنزلها الله على رسله، وبيانه لعدم حفظ أهل الكتاب لكتبهم ووقوعهم في التحريف والتغيير والتبديل.

منهجية البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتحليل والاستنتاج وفق منهجية كتابة البحوث العلمية.

خطة البحث:

قسمتُ البحثَ إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرس المصادر والمراجع، كما يلي:

- **المقدمة، وفيها**: بيان أهمية البحث وأسباب اختياره، وأهدافه، ومنهجي فيه، وخطته.
- **التمهيد**: التعريف بأهم المصطلحات الواردة في العنوان، وفيه مطلبان:
  - المطلب الأول: التعريف بالنصارى.
  - المطلب الثاني: التعريف بالكتاب المقدس لديهم.
- **المبحث الأول**: منزلة الإيمان بالكتب عند المسلمين.
- **المبحث الثاني**: زعم النصارى أن تصديق القرآن للتوراة والإنجيل دليل على صحة الكتاب المقدس لديهم الآن وإبطال ذلك الافتراء، وفيه مطلبان:
  - المطلب الأول: بيان زعم النصارى في أن تصديق القرآن للتوراة والإنجيل دليل على صحة الكتاب المقدس لديهم الموجود الآن.

(1) انظر: موقع: Study islam.org، حيث نشروا فيه كثيرا من الكتب التي تطعن في القرآن، ككتاب ميزان الحق لفاندر. وفي الصفحة الإلكترونية: كلام الحق، تم تنزيل كتاب القرآن والكتاب المقدس في نور التاريخ والعلم، لوليم كامبل.

- ▪ المطلب الثاني: دلالة نصوص القرآن الكريم على التصديق والهيمنة، وبيان موقف علماء الإسلام من دعوى النصارى.
- **المبحث الثالث**: أوجه تصديق القرآن وهيمنته على الكتب المنزلة على رسل الله تعالى، وفيه مطلبان:
  - ▪ المطلب الأول: أوجه تصديق القرآن الكريم للكتب المنزلة على رسل الله تعالى.
  - ▪ المطلب الثاني: هيمنة القرآن الكريم على الكتب المنزلة على رسل الله تعالى.
- **الخاتمة، وفيها**: أهم النتائج والتوصيات.
- **فهرس المصادر والمراجع.**

***

التمهيد

التعريف بأهم المصطلحات الواردة في العنوان

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالنصارى.

النصارى: جمع النصراني، قيل: سُمِّي بذلك انتسابا إلى قرية، يقال لها: نصرانة، أو ناصرة، وهي القرية التي نشأ فيها عيسى عليه السلام[2]. والنصرانية: دين النصارى الذين يزعمون أنهم يتبعون المسيح عليه السلام، وكتابهم الإنجيل. وقد أطلق على أتباع الديانة النصرانية في القرآن الكريم: نصارى، وأهل الكتاب، وأهل الإنجيل، وهم يسمون أنفسهم بالمسيحيين نسبة إلى المسيح عليه السلام، ويسمون ديانتهم المسيحية[3].

المطلب الثاني: التعريف بالكتاب المقدس لدى النصارى.

يعتقد النصارى في كتابهم: أنه مجموعة الأسفار الإلهية، كتبت بإلهام من الله تعالى، لا يأتيها الباطل، وفيها أعلن الله مشيئته ووصاياه وما قطعه من المواعيد وما فرضه من المثوبة[4]. وأما عند علماء الإسلام فإنهم يعتقدون أن الله تعالى أنزل كتبه على أنبيائه ورسله، يصدق بعضها بعضاً، وأما ما يسميه النصارى بالكتاب المقدس الآن فقد دخله كثير من التحريف والتغيير والتبديل، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

وينقسم كتاب النصارى المقدس إلى قسمين رئيسين: العهد القديم، والعهد الجديد، وكل منهما يحتوي على أسفار، وفي كل سفر إصحاحات، وتحتها فقرات.

1- **أما العهد القديم**: فهو يشمل الأسفار المنسوبة إلى موسى والأنبياء من بعده الذين كانوا قبل

---

(2) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، (ص809)، القاموس المحيط، الفيروزآبادي، (ص483).

(3) انظر: دراسات في الأديان، سعود الخلف، (ص163)، مصادر النصرانية دراسة ونقدا، عبد الرزاق آلارو، (1/ 43).

(4) انظر: الأسفار المقدسة علي عبد الواحد وافي (ص85)، الكتب السماوية وشروط صحتها لعبد الوهاب طويلة (ص153)، النصرانية بين الحقيقة والخيال لعبد الله سمك (1/ 403)، مصادر النصرانية دراسة ونقدا، (1/ 121).

عيسى عليه السلام، وقد اعتمد اليهود على تسع وثلاثين سفرا، وقسموها إلى أربعة أقسام: كتب موسى أو الأسفار الخمسة، وهي تسمى بالتوراة عند اليهود. والأسفار التاريخية، عرض فيها تاريخ بني إسرائيل بالتفصيل. وأسفار الأناشيد، وهي عبارة عن أناشيد ومواعظ. وأسفار الأنبياء.

2- **وأما العهد الجديد:** فهو يحوي الأناجيل وما يتبعها من الأسفار المنسوبة إلى الحواريين وتلامذتهم. وقد استقر رأي النصارى في أوائل القرن الخامس الميلادي على اعتماد سبعة وعشرين سفرا من الأسفار المقدسة، ويمكن تقسيمها على النحو التالي: مجموعة الأناجيل الأربعة، وهي: إنجيل متى، وإنجيل مرقص، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا. ومجموعة رسائل بولس، والرسائل الكاثوليكية، وسفر أعمال الرسل، وسفر رؤيا يوحنا. ويمكن الوقوف على تفاصيل ما تقدم في ثنايا مصنفات أهل العلم[5].

***

المبحث الأول

منزلة الإيمان بالكتب عند المسلمين

الإيمان بكتب الله التي أنزل على رسله كلها ركن عظيم من أركان الإيمان، وأصل كبير من أصول الدين، لا يتحقق الإيمان إلا به. وقد دل على ذلك الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ (البقرة: 177). والكتاب هنا يشمل الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء، حتى ختمت بأشرفها، وهو القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب، الذي انتهى إليه كل خير، واشتمل على كل سعادة في الدنيا والآخرة[6]. ومن السنة: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس، فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، وبلقائه، ورسله وتؤمن بالبعث...) الحديث[7]. ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «اتفق المسلمون على ما هو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام وهو أنه يجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، وبجميع ما أنزله الله من الكتب»[8].

---

(5) انظر: اليهودية، أحمد شلبي، (ص230)، محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، (ص38)، الأسفار المقدسة علي عبدالواحد وافي، (ص3، 85، 113)، مصادر النصرانية دراسة ونقدا، (1/ 121، 129، 353).

(6) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، (1/ 486).

(7) أخرجه البخاري برقم: (50)، ومسلم برقم: (9).

(8) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، (2/ 371). وانظر: (2/ 368).

والإيمان بكتب الله يشتمل على عدة أمور:

1- التصديق الجازم بأنها كلها منزلة من الله ﷻ، وأنها كلام الله تعالى لا كلام غيره، وأن الله تكلم بها حقيقة كما شاء، وعلى الوجه الذي أراد سبحانه. قال الله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ (آل عمران:3-4).

2- الإيمان بأنها دعت كلها إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وقد جاءت بالخير والهدى والنور والضياء، قال ا لله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء:25)، وقال سبحانه عن التوراة التي أنزلها الله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ (المائدة: 44)، وقال ﷻ عن الإنجيل التي أنزلها الله: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ (المائدة:46)، وقال ﷻ واصفا القرآن الكريم: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ (البقرة:185).

3- الإيمان بأن كتب الله التي أنزلها الله على رسله يصدق بعضها بعضًا، فلا تناقض بينها ولا تعارض، وأن القرآن مصدق للكتب التي أنزلها الله على أنبيائه، وهو مهيمن عليه، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (المائدة:48).

4- الإيمان بما سمى الله ﷻ من كتبه على وجه الخصوص، والتصديق بها، وبإخبار الله ورسوله عنها، وما لم يسم منها؛ فإن لله كتبا لا يعلمها إلا هو سبحانه. والإيمان بالكتب السابقة إيمان مجمل، يكون بالإقرار بها بالقلب واللسان، وأما الإيمان بالقرآن؛ فإنه إيمان مفصل، يكون بالإقرار به بالقلب واللسان، واتباع ما جاء فيه، وتحكيمه في كل كبيرة وصغيرة. وهذه الكتب التي ذكرت في النصوص الشرعية: **التوراة**: التي أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام، وهي أعظم كتب بني إسرائيل، وفيها تفصيل شريعتهم وأحكامهم التي أنزلها الله على موسى عليه السلام، إلا أن القرآن الكريم قد بين وقوع التحريف والتبديل في التوراة كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى. **الإنجيل**: الذي أنزله الله تعالى على عيسى عليه السلام، وهو مصدق للتوراة، ومتمم لها، إلا أن الإنجيل قد لحقه التحريف والتبديل، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى. **الزبور**: الذي آتاه الله تعالى داود عليه السلام. **صحف إبراهيم** عليه السلام. **القرآن العظيم**: وهو كتاب الله الذي أنزله على نبينا محمد ﷺ مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه، وهو آخر كتب الله نزولا وأشرفها وأكملها، والناسخ لما قبله من الكتب وقد كانت دعوته لعامة الثقلين من الإنس والجن.

5- الاعتقاد الصريح: بأن القرآن الكريم قد دل على وقوع أهل الكتاب في تحريف التوراة والإنجيل،

بتغيير اللفظ أو المعنى، أو بهما جميعا، وذلك في نصوص متعددة، منها: قول الله تبارك وتعالى: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ (النساء: 46)، وقوله جل وعلا: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:75)، وقوله ﷻ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (البقرة: 79)، وقوله سبحانه: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾ (المائدة: 13)، إلى غير ذلك من الآيات[9].

6- الاعتقاد الجازم بأن القرآن الكريم قد نسخ جميع الكتب والصحف التي أنزلها الله على رسله، وأن شريعة النبي ﷺ ناسخة لجميع الشرائع. فلا يسع أحدًا من المكلفين، لا من أصحاب الكتب السابقة، ولا من غيرهم، أن يعبدوا الله بعد نزول القرآن بغير ما جاء فيه أو يتحاكموا إلى غيره، فلا دين إلا ما جاء به القرآن الكريم، ولا عبادة إلا ما شرع الله فيه، وقد دعا الشارع الحكيم أهل الكتاب وجميع الإنس والجن إلى الإيمان بالنبي ﷺ، وبما جاء به، واتباع ما بعث به من الكتاب والحكمة، وحكم بكفر كل من لم يتبع كتابه المنزل عليه، وأوجب مع خلودهم في عذاب الآخرة جهادهم في الدنيا حتى يكون الدين كله لله وحتى تكون كلمة الله هي العليا. قال الله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان:1). وقال سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة:15-16). وقال ﷻ: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ (الأنعام:19)، وقال تعالى آمرا نبيه ﷺ أن يحكم بين أهل الكتاب بالقرآن فقال ﷻ: ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ (المائدة:48)[10]. وقال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ

(9) انظر: انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، (2/ 142)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (2/ 62)، تفسير ابن كثير (2/ 323)، (3/ 300)، فتح القدير للشوكاني (1/ 123)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص180)، تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، (6/ 322).

(10) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (8/ 491).

عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف:157-158). قال ابن كثير: «القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب، الذي انتهى إليه كل خير، واشتمل على كل سعادة في الدنيا والآخرة، ونسخ الله به كل ما سواه من الكتب قبله»[11].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ (آل عمران:81). قال شيخ الإسلام ابن تيمية عند قوله تعالى: ﴿ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ﴾: «التقدير: أي شيء أعطيتكم من كتاب وحكمة، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه، ولا تكتفوا بما عندكم عما جاء به، ولا يحملنكم ما آتيتكم من كتاب وحكمة على أن تتركوا متابعته، بل عليكم أن تؤمنوا به وتنصروه،... فدل ذلك على أنه من أدرك محمدا من الأنبياء وأتباعهم وإن كان معه كتاب وحكمة فعليه أن يؤمن بمحمد وينصره»[12].

ومن السنة: حديث أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: (والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار)[13]. قال ابن هبيرة: «في هذا الحديث من الفقه: وجوب اتباعه ﷺ، ونسخ جميع الشرائع بشرعه، فمن كفر به؛ لم ينفعه إيمانه بغيره من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين»[14].

وقال النووي رحمه الله: «فيه نسخ الملل كلها برسالة نبينا ﷺ... وقوله ﷺ: (لا يسمع بي أحد من هذه الأمة) أي: من هو موجود في زمني وبعدي إلى يوم القيامة، فكلهم يجب عليهم الدخول في طاعته، وإنما ذكر اليهودي والنصراني تنبيها على من سواهما»[15]. فإذا ثبت أن الإسلام الذي جاء به النبي ﷺ قد نسخ الأديان السابقة، فإنه يلزم منه عدم جواز العمل بالكتب السابقة بعد مجيء النبي محمد ﷺ بالإسلام.

(11) تفسير ابن كثير، (1/ 486). وانظر: فتح القدير، الشوكاني، (2/ 55-56).

(12) الجواب الصحيح، (2/ 123). وانظر: تفسير ابن كثير، (2/ 67-68).

(13) أخرجه مسلم برقم: (153).

(14) الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيى بن هُبَيْرَة، (8/ 191). وانظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، (2/ 90).

(15) شرح صحيح مسلم للنووي (2/ 188).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن عمر بن الخطاب: (أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه على النبي ﷺ فغضب وقال: أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا، ما وسعه إلا أن يتبعني)[16].

إلى غير ذلك من المسائل التي ذكرها أهل العلم في مظانها[17].

***

(16) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم: (15156)، وابن أبي عاصم في السنة برقم: (50)، وغيرهما، وسنده ضعيف، إلا أن الحديث حسنه بعض أهل العلم بمجموع شواهده. انظر: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، الألباني، برقم: (1589). وقوله: (أمتهوكون)، أي: متحيرون أنتم في الإسلام، لا تعرفون دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى. انظر: شرح السنة، البغوي، (1/ 271).

(17) انظر: الجواب الصحيح (2/ 270، 375-376)، مجموع الفتاوى (11/ 423)، مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين، (3/ 241)، كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، إعداد نخبة من العلماء، (ص127-145)، القرآن الكريم ومنزلته بين السلف والمخالفين، محمد هشام طاهري، (ص700، 785).

المبحث الثاني

زعم النصارى أن تصديق القرآن للتوراة والإنجيل دليل على صحة الكتاب المقدس لديهم الموجود الآن، وإبطال ذلك الافتراء

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان زعم النصارى في أن تصديق القرآن للتوراة والإنجيل دليل على صحة الكتاب المقدس لديهم الموجود الآن.

من الواضح بجلاء قبل الولوج في رد شبهات النصارى في هذا الموضوع، أن استدلال النصارى بالقرآن الكريم، لا يراد منه أنهم يسلِّمون بأنه كتاب الله تعالى الذي أنزله على محمد ﷺ، وهو الذي يجب الإيمان به والعمل به، بل يقصدون من هذا العمل الشنيع، تشكيك المسلمين في صحة دينهم، ومحاولة إخراجهم منه، وتنصيرهم. يقول جون تاكلي: «يجب أن نستخدم القرآن وهو أمضى سلاح ضد الإسلام نفسه، بأن نعلِّم المسلمين أن الصحيح في القرآن غير جديد، وأن الجديد فيه غير صحيح»[18]. ولهذا أراد فاندر من خلال تأليفه كتاب ميزان الحق أن يقنع المسلمين بصحة الكتاب المقدس لديهم، ومن ثم محاولة تنصيرهم، فيقول: «لأن غرض هذا التأليف ليس إقناع الكفرة، بل مساعدة إخواننا المسلمين

(18) انظر: رد افتراءات المبشرين على آيات القرآن الكريم، محمد جمعة عبد الله، (ص5).

الذين يقبلون القرآن كآخر إعلان من الله تعالى لهم، ويؤمنون أنه يحتوي على كلام الله نفسه،... فيجدر بكل مسلم أن يشترك معنا في البحث عن شهادات القرآن للتوراة والإنجيل»[19]. وهو ما قرره أيضاً نقولا يعقوب غبريل في كتابه أبحاث المجتهدين[20]. وهذا مسلك باطل غير علمي، لأنهم انطلقوا في ذلك من كون المسلم يعظم القرآن الكريم، فراحوا يستدلون بالآيات على مآربهم الباطلة بمنهجية خاطئة، ولم يسلكوا قواعد أهل العلم في منهج الاستلال بالقرآن الكريم، ولا اعتدوا بطريقتهم، بل استخرجوا بعض الآيات القرآنية، ووضعوا لها معاني من عند أنفسهم، وموافقة لأهوائهم؛ لخدمة مقاصدهم السيئة، فكما قاموا بتحريف التوراة والإنجيل، أرادوا أن يحرفوا دلالات القرآن الكريم؛ لتشهد لهم على صدق الكتاب المقدس فيما زعموا، وأنى لهم ذلك.

وأما ما ذكره من غرض تأليفه، فإن المسلمين يؤمنون بالقرآن كاملا، ويأخذون بدلالة النصوص كلها على قضية من قضايا الدين والشرع، ثم يعتمدون في تفسير القرآن على كلام المحققين من أعلام المفسرين من الصحابة فمن بعدهم، بخلاف هؤلاء النصارى الذين يذكرون بعض النصوص، ويتركون نصوصا أخرى، أو يقتطعون آية من سياقها، أو جملة من آية، ويغفل بقية الآية وسياقها، مع تحريف آيات القرآن، وليِّها؛ لتوافق معتقداتهم الباطلة، وهذه مغالطة أخرى مكشوفة يدركها كل عاقل. ويرى بعض النصارى أن إثارة مثل هذه الشبهات يبين أيضاً تناقض القرآن، وبطلانه، فيزعمون أن القرآن يصدق الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه، وفي مرات كثيرة يصف القرآن أهل الكتاب أنهم حرفوا الكتاب وبدلوه. ولهذا نبه شيخ الإسلام ابن تيمية على مثل هذه المسالك، وبين زيفها، وأوضح أنهم إذا قالوا: نحن نذكر ذلك لنبين تناقضه حيث صدقها، وهي تناقض بعض ما أخبر به، أو لنبين أن ما أخبرت به الأنبياء قبله يناقض خبره فيكون ذلك قدحا فيما جاء به. وقد أجاب أهل العلم بما يلي: أما مناقضة بعض خبره لبعض؛ كما يزعمه هؤلاء من أن كتابه يمدح أهل الكتاب مرة، ويذمهم أخرى، وأنه يصدق الكتب المنزلة تارة، ويذمها أخرى، فهذا قد ظهر بطلانه، فإنه إنما مدح من اتبع موسى والمسيح على الدين الذي لم يبدل ولم ينسخ. وأما من اتبع الدين المبدل المنسوخ فقد كفره. وأما دعواهم مناقضة خبره لخبر غيره، فيقال: هو مصدق للأنبياء فيما أخبروا به. وأما ما بدل من ألفاظهم، أو غيرها بالترجمة، أو فسر بغير مرادهم فلم يصدقه[21].

(19) ميزان الحق لفاندر (ص3). وانظر: استحالة تحريف الكتاب المقدس، مرقس عزيز خليل، (ص68).

(20) انظر: أبحاث المجتهدين في الخلاف بين النصارى والمسلمين نقولا يعقوب غبريل (ص3).

(21) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (2/ 385-386).

وفيما يلي سأذكر الأدلة من القرآن الكريم على تصديق التوراة والإنجيل، وبيان دعوى النصارى.

فقد استدل النصارى على صحة الكتاب المقدس لديهم الآن بما ورد في نصوص القرآن الكريم من الآيات الدالة على تصديق القرآن الكريم للتوراة والإنجيل، ومن ذلك: قول الله تعالى: ﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ ...الآية، ثم قال الله تعالى: ﴿ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ (آل عمران:49-50). وقال جل وعلا: ﴿ وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة:46). وقال سبحانه: ﴿ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾ (الصف:6). فزعم النصارى أن القرآن شاهد بأن التوراة كانت موجودة وصحيحة في زمن المسيح عليه السلام[22]. ومما استدلوا به على صحة الكتاب المقدس الموجود الآن:

قول الله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۢ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴾ (البقرة:40-41). وقال الله سبحانه: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡۗ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ (البقرة:91).

وقال جل وعلا: ﴿ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (البقرة:97). إلى غير ذلك من الآيات المتضمنة تصديق القرآن للكتب المنزلة قبله[23]، فادعى النصارى أن هذه الآيات شاهدة لصحة الكتاب المقدس، وأنه موحى به من الله، وفي هذا شهادة ضمنية بسلامة الكتاب المقدس من التحريف[24].

---

(22) انظر: المسيحية في الإسلام لإبراهيم لوقا (ص7)، القرآن والكتاب المقدس في نور التاريخ والعلم، وليم كامبل (ص38)، عصمة التوراة والإنجيل، إسكندر جديد (ص20).

(23) انظر: سورة آل عمران: الآيتان 3، 81، سورة النساء: الآية 47، سورة الأنعام: الآية 92، سورة يونس: الآية 37، سورة يوسف: الآية 111، سورة فاطر: الآية 31، الأحقاف: الآيتان 12، 30.

(24) انظر: ميزان الحق لفاندر (ص2، 3)، مدخل إلى الحوار المسيحي الإسلامي، يوسف الحداد، (ص122، 128-130)، القرآن والمسيحية، الأنبا شنودة، (ص6)، عصمة الكتاب المقدس ليسى منصور، (ص103)، استحالة تحريف الكتاب المقدس لمرقس عزيز خليل، (ص67، 73-74)، المسيحية في=

يقول الأنبا شنودة: «كون القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب، فهذا يعني صحة الإنجيل والتوراة وسلامتها من التحريف، وإلا فإنه يستحيل على المسلم أن يؤمن بأن القرآن نزل مصدقا لكتاب محرف»(25). ويقول يوسف الحداد: «فالقرآن يعلن بتكرار أنه تصديق الكتاب، فلا يصدق القرآن كتابا محرفاً، وإلا تلبس هو أيضاً بشبهة التحريف، لتصديقه التحريف»(26).

بل زعموا أن القرآن جاء ليؤيد ما سبقه من التوراة والإنجيل، وأن القرآن رقيب على جميع الكتب يحفظها من التغيير، ويشهد لها بالصحة(27)، قال سبحانه: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ﴾ (المائدة:48). يقول فاندر: «لقد شهد القرآن في عدة آيات أن التوراة والزبور والإنجيل منزلة من عند الله، وأنه جاء مصدقاً ومهيمنا أي مراقبا وحافظا ومثبتا لها»(28).

ويقول إبراهيم لوقا: «فالقول بهيمنة القرآن على التوراة والإنجيل دليل على أنّ الإسلام يسلم بأنهما قد حُفظا - ويُحفظان سالمين لم تلعب بهما أيدي المحرفين»(29).

ويقول مرقس عزيز خليل: «لو كان الكتاب المقدس قد حدث به تحريف قبل أو أثناء ظهور الإسلام، للزم أن يتحاشى القرآن ذكره بهذا الإجلال والإكرام، ووجب عليه ألا يغمض عينيه عن هذا التحريف، بل يظهره ويشرحه، أما أن يصرح القرآن بأنه جاء مصدقا له، ويحرض على التمسك به وللاحتكام إليه، فهذا دليل قاطع على سلامته»(30). هذه جملة أقوال هؤلاء النصارى في بيان صحة التوراة والإنجيل وغيرها من الكتب الموجودة بين أيديهم الآن، واستدلالهم على ذلك بآيات من كتاب الله تعالى، وفي المبحث التالي سأحاول عرض موقف أهل العلم من هذا الاستدلال المغلوط.

=الإسلام لإبراهيم لوقا (ص7)، القرآن والكتاب المقدس في نور التاريخ وليم كامبل (ص40)، عصمة التوراة والإنجيل لإسكندر جديد (ص20)، أبحاث المجتهدين في الخلاف بين النصارى والمسلمين نقولا يعقوب غبريل (ص20-21)، مقال آيات قرآنية تؤكد وتثبت أن الإنجيل ليس محرفا، موقع الحق والضلال، من المواقع التنصيرية، (ص1ـ3)، تاريخ النشر: 2017م.

(25) القرآن والمسيحية للأنبا شنودة (ص6).

(26) مدخل إلى الحوار المسيحي الإسلامي، يوسف الحداد، (ص130).

(27) انظر: القرآن والكتاب المقدس في نور التاريخ والعلم وليم كامبل (ص40).

(28) ميزان الحق لفاندر (ص2). وانظر: أبحاث المجتهدين في الخلاف بين النصارى والمسلمين نقولا يعقوب غبريل (ص20).

(29) المسيحية في الإسلام لإبراهيم لوقا (ص8).

(30) استحالة تحريف الكتاب المقدس لمرقس عزيز خليل (ص74). وانظر: عصمة التوراة والإنجيل لإسكندر جديد (ص20).

المطلب الثاني: دلالة نصوص القرآن الكريم على التصديق والهيمنة، وبيان موقف علماء الإسلام من دعوى النصارى.

إن الآيات التي زعم النصارى دلالتها على صحة الكتاب المقدس لديهم الآن، فإن غاية مفهوم تلك النصوص أن الأنبياء كلهم يصدِّقون بكل ما كان قبلهم من كتب الله التي أنزلها على أنبيائه عليهم السلام، فيصدق اللاحق بالسابق، ويبشر السابق باللاحق، ولا تدل بحال على ما زعمه النصارى من صحة الكتاب المقدس الموجود لديهم الآن، وهذا ما سيتبين إن شاء الله تعالى من خلال تفسير علماء الإسلام لهذه الآيات.

أولاً: أما قوله تعالى: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ (آل عمران:49)، فإن الآية دلت على أن عيسى عليه السلام كان مؤمنا ومقرا بالتوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام؛ فإن المصدِّق هو المخبر بصدق غيره، أي: مصدقا تصديقا لا يشوبه شك، ولا نسبة إلى الخطأ، وأن ما جاء به عيسى عليه السلام من جنس ما جاءت به التوراة، وأخبر عليه السلام أن شريعة الإنجيل شريعة فيها سهولة ويسر، وأتت متممة للتوراة، فنسخت بعض أحكامها. يقول الطبري رحمه الله: «وإنما قيل: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾؛ لأن عيسى صلوات الله عليه كان مؤمنا بالتوراة مقرا بها، وأنها من عند الله، وكذلك الأنبياء كلهم يصدقون بكل ما كان قبلهم من كتب الله ورسله، وإن اختلف بعض شرائع أحكامهم لمخالفة الله بينهم في ذلك، مع أن عيسى كان فيما بلغنا عاملا بالتوراة، لم يخالف شيئا من أحكامها إلا ما خفف الله عن أهلها في الإنجيل مما كان مشددا عليهم فيها»[31]. ويقول ابن كثير رحمه الله: «﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾، أي: مقرر لهم، ومثبت، ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ ﴾، فيه دلالة على أن عيسى عليه السلام، نسخ بعض شريعة التوراة»[32].

وذهب بعض المفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ ﴾ إشارة إلى ما حرمه الأحبار بعد موسى عليه السلام وشرعوه، فكأن عيسى عليه السلام ردَّ أحكام التوراة إلى حقائقها التي نزلت من عند الله تعالى[33]. ولهذا قال الرازي: «ولعل من جملة الأغراض في بعثة عيسى عليه السلام إليهم تقرير التوراة وإزالة شبهات المنكرين، وتحريفات الجاهلين»[34]. إلى غير ذلك من أقوال المفسرين[35].

(31) جامع البيان للطبري، (5/ 431).

(32) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (2/ 45).

(33) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، (1/ 441).

(34) مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الرازي، (8/ 230).

(35) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (2/ 18)، تفسير المنار، (3/ 257)، تيسير الكريم الرحمن، (ص131-132)، التحرير والتنوير، (3/ 253).

فالآية دلت على تصديق عيسى عليه السلام وإقراره بالتوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام، وبيان تحريفات الجاهلين التي وقعت بعد موسى عليه السلام.

ثانيا: وأما قوله تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة:46)، فسياق الآية يدل على: أن الله تعالى أتبع عيسى عليه السلام على آثار الأنبياء قبله، فبعثه نبيا مصدقاً لما بين يديه من التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام، فكان عيسى عليه السلام شاهداً له، ولما جاء به من التوراة بالحق والصدق، ومؤيدا لدعوته، وحاكما بشريعته، وموافقا له في أكثر الأمور الشرعية، إلا ما تم نسخه والتخفيف فيه، وردا على تحريفات المبطلين. قال أبو جعفر الطبري: «﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾، أوحينا إليه ذلك، وأنزلناه إليه بتصديق ما كان قبله من كتب الله، التي كان أنزلها على كل أمة أنزل إلى نبيها كتاب؛ للعمل بما أنزل إلى نبيهم في ذلك الكتاب، من تحليل ما حلل وتحريم ما حرم، ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً ﴾، يقول: أنزلنا الإنجيل إلى عيسى مصدقا للكتب التي قبله ، وبيانا لحكم الله الذي ارتضاه لعباده المتقين في زمان عيسى عليه السلام وموعظة لهم»[36]. وقال إلى غير ذلك من أقوال المفسرين[37]. فالآية دالة على أن عيسى عليه السلام بعثه الله مصدقا لما بين يديه من التوراة، فهو شاهد لموسى عليه السلام ولما جاء به من التوراة المنزلة من الله تعالى بالحق والصدق، ومؤيد لدعوته، وحاكم بشريعته، وموافق له في أكثر الأمور الشرعية[38]. فتصديق الإنجيل إنما كان للتوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام، وكان عيسى مؤيدا لدعوته، وحاكما بشريعته، وموافقا له في أكثر الأمور الشرعية، إلا ما تم نسخه والتخفيف فيه، وجاء الإنجيل أيضاً ردا على تحريفات المبطلين، كما أشار إليه قول الله تبارك وتعالى في الآية السابقة: ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ ﴾.

ثالثاً: وأما قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الصف:6)، فإن الآية دلت على أن عيسى عليه السلام جاء مقرا بما جاءت به التوراة وبكتب الله وبأنبيائه جميعاً ممن تقدم، كما أن التوراة أخبرت بعيسى عليه السلام وبشرت به، فكانت بعثته مصداقا لها. ثم إن

(36) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (8/ 482-483).

(37) انظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، (1/ 554)، مفاتيح الغيب، (12/ 370)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (6/ 208)، تفسير المنار، (6/ 331-332)، التحرير والتنوير، (6/ 219)، تيسير الكريم الرحمن (ص232).

(38) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، (ص233).

عيسى عليه السلام بشر بالنبي ﷺ، فعادة الله في رسله عليهم السلام أن السابق يبشر باللاحق، واللاحق يصدق السابق؛ فالتوراة لما بشرت بعيسى عليه السلام، وبنبوته كان نفس ظهوره تصديقا لها، ثم بشر عيسى عليه السلام برسول يأتي من بعده، فكان ظهور الرسول ﷺ المبشر به تصديقا له، كما كان ظهوره تصديقا للتوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام[39]. قال القاسمي في تفسير الآية: «﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ أي: التي أنزلت على موسى، وذلك مما يدعو إلى تصديقه عليه السلام»[40]. إلى غير ذلك من أقوال المفسرين[41]. فعيسى عليه السلام، كغيره من الأنبياء يصدق بالنبي السابق، ويبشر بالنبي اللاحق، وتصديقه إنما كان للتوراة التي أنزلها الله على نبيه، وليست للعهد القديم الموجود الآن عند أهل الكتاب، الذي طرأ عليه التحريف والتبديل.

رابعاً: وأما قوله تعالى: ﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ۝٤٠ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾ (البقرة:40-41)، فإن الله تعالى بين فيها: أن القرآن مصدق لما مع بني إسرائيل من التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام، وأمر بني إسرائيل بالتصديق بالقرآن واتباعه، وأخبرهم جل ثناؤه أن في تصديقهم بالقرآن تصديقا منهم للتوراة؛ لأن الذي في القرآن من الأمر بالإقرار بنبوة محمد ﷺ، وتصديقه واتباعه، نظير الذي من ذلك في الإنجيل والتوراة. ففي تصديقهم بما أنزل على محمد ﷺ تصديق منهم لما معهم من التوراة، وفي تكذيبهم به تكذيب منهم لما معهم من التوراة[42]. قال البيضاوي: «﴿ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ (البقرة: 41): إفراد للإيمان بالأمر به والحث عليه؛ لأنه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود، وتقييد المنزل بأنه مصدق لما معهم من الكتب الإلهية من حيث إنه نازل حسبما نعت فيها، أو مطابق لها في القصص...»[43]. إلى غير ذلك من أقوال المفسرين[44].

فالمقصود من الآية: دعوة بني إسرائيل إلى الإيمان بالقرآن، فقدَّم بين يدي ذلك ما يهيئ نفوسهم إلى قبوله،

(39) انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، (ص525-526)، تيسير الكريم الرحمن (ص859).

(40) محاسن التأويل، محمد القاسمي، (9/ 220). وانظر: مفاتيح الغيب، (29/ 528).

(41) انظر: أنوار التنزيل، (5/ 209)، تفسير البحر المحيط، (8/ 259)، تفسير ابن كثير (8/ 109)، التحرير والتنوير، (28/ 181).

(42) انظر: جامع البيان للطبري (1/ 599).

(43) أنوار التنزيل (1/ 76).

(44) انظر: مفاتيح الغيب (3/ 483)، تفسير ابن كثير (1/ 242-243)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، الألوسي، (1/ 246)، تيسير الكريم الرحمن (ص50).

فبين لهم أن القرآن والتوراة والإنجيل وغيرها من الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه مشتملة على الهدى والتوحيد، والدعوة إلى مكارم الأخلاق، وأنها كلها من عند الله تعالى[45]. وليس في الآية ما يدل على صحة الكتاب المقدس الموجود الآن، بل هي دعوة لبني إسرائيل للإيمان بالقرآن وترك الدين المبدل، وعدم الاعتماد على الكتاب الذي ثبت تحريفه. يقول القاسمي: «كثيرا ما يستدل مجادلة أهل الكتاب على عدم تحريف كتبهم بهذه الآية وأمثالها.... مع أنه ثبت بالبراهين القاطعة ذهاب قدر كبير من كتبهم، واختلاط حقها بباطلها فيما بقي، كما صنفت في ذلك مصنفات عدة. وقد رد استدلالهم بهذه الآية وأمثالها على ما ادعوه، بأن معنى كون القرآن مصدقا لما معهم، ما ذكرناه قبل في تأويلها. وحاصله أن ما أنزل عليه ﷺ هو طبق ما عندهم من حقية نبوته، وصحة البشائر عنه»[46].

خامساً: وأما قوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة:91)، فإن الآية دلت على أن هؤلاء الكفرة بالقرآن، قد رد الله تبارك وتعالى عليهم هنا ردا شافيا، وألزمهم إلزاما لا محيد لهم عنه، فرد عليهم بكفرهم بالقرآن بأمرين: فقال: ﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ﴾، فإذا كان هو الحق في جميع ما اشتمل عليه من الإخبارات، والأوامر والنواهي، وهو من عند ربهم، فالكفر به بعد ذلك كفر بالله، وكفر بالحق الذي أنزله. ثم قال: ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ ﴾ أي: موافقا له في كل ما دل عليه من الحق ومهيمنا عليه. فلم تؤمنون بما أنزل عليكم، وتكفرون بنظيره؟ هل هذا إلا تعصب واتباع للهوى لا للهدى؟ ثم إن كون القرآن مصدقا لما معهم، يقتضي أنه حجة لهم على صدق ما في أيديهم من الكتب، فلا سبيل لهم إلى إثباتها إلا به، فإذا كفروا به وجحدوه، صاروا بمنزلة من ادعى دعوى بحجة وبينة ليس له غيرها، ولا تتم دعواه إلا بسلامة بينته، ثم يأتي هو لبينته وحجته، فيقدح فيها ويكذب بها؛ أليس هذا من الحماقة والجنون؟ فكان كفرهم بالقرآن، كفرا بما في أيديهم ونقضا له[47]. يقول ابن جرير رحمه الله: «يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا ﴾ أي: ما وراء الكتاب الذي أنزل عليهم من الكتب التي أنزلها الله إلى أنبيائه الحق، وإنما يعني بذلك تعالى ذكره القرآن الذي أنزله إلى محمد ﷺ. ثم قال: وإنما قال جل ثناؤه: ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ ﴾؛ لأن كتب الله يصدق بعضها بعضا؛ ففي الإنجيل والقرآن من الأمر باتباع محمد ﷺ، والإيمان به وبما جاء

(45) انظر: التحرير والتنوير (1/ 458-460).

(46) محاسن التأويل (1/ 299). وانظر: تفسير المنار (1/ 242).

(47) انظر: بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، (4/ 148)، تيسير الكريم الرحمن (ص59).

به، مثل الذي من ذلك في توراة موسى عليه السلام»[48]. إلى غير ذلك من أقوال المفسرين[49]. فهذا يدل على أن الله تعالى قد أمرهم بالإيمان بالقرآن الذي يصدق التوراة والإنجيل التي أنزلها على رسله، وليس فيها دليل على صحة الكتاب المقدس الذي بأيدي أهل الكتاب اليوم، لما تقدم بيانه من وقوع التحريف والتبديل فيه.

سادساً: وأما قوله جل وعلا: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة:97)، فمعناه: أن هذا الكتاب الذي نزل به جبريل عليه السلام مصدقا لما تقدمه من الكتب غير مخالف لها ولا مناقض، وفيه الهداية التامة من أنواع الضلالات، فالعداوة لجبريل الموصوف بذلك، كفر بالله وآياته، وعداوة لله ولرسله وملائكته، فإن عداوتهم لجبريل، لا لذاته بل لما ينزل به من عند الله من الحق على رسل الله[50]. يقول ابن جرير رحمه الله: «معنى الكلام: فإن جبريل نزل القرآن على قلبك يا محمد مصدقا لما بين يدي القرآن، يعني بذلك مصدقا لما سلف من كتب الله أمامه، ونزلت على رسله الذين كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم، وتصديقه إياها: موافقة معانيه معانيها في الأمر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم، وما جاء به من عند الله، وهي تصدقه»[51]. إلى غير ذلك من أقوال المفسرين[52].

فسياق الآية يفيد: إقامة الحجة على بني إسرائيل للإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم، وبالكتاب الذي أنزله الله عليه، ألا وهو القرآن؛ لأنه موافق في الأصول لما تقدمه من كتب الله التي أنزلها الله على رسله عليهم السلام، ولا صحة لما ادعوه من تصديق القرآن للكتاب المقدس الموجود لديهم الآن.

سابعاً: وأما قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ (آل عمران:3)، فمعناه: إن من رحمة الله بعباده أن نزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم الكتاب، الذي هو أجل الكتب وأعظمها المشتمل على الحق في إخباره وأوامره ونواهيه، فما أخبر به صدق، وما حكم به فهو العدل. ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ من الكتب السابقة، فهو المزكي لها، فما شهد له فهو المقبول، وما رده فهو المردود، وهو المطابق لها في جميع المطالب التي اتفق عليها المرسلون، وهي شاهدة له بالصدق، فأهل الكتاب لا يمكنهم التصديق بكتابهم إن لم يؤمنوا به، فإن كفرهم به ينقض إيمانهم بكتابهم[53]. فعن

(48) جامع البيان (2/ 255-256).

(49) انظر: مفاتيح الغيب (3/ 603)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (2/ 29)، تفسير ابن كثير (1/ 328)، تفسير البحر المحيط (1/ 475)، محاسن التأويل (1/ 351).

(50) انظر: تفسير ابن كثير (1/ 341-342)، تيسير الكريم الرحمن (ص60).

(51) جامع البيان (2/ 299). وانظر: تفسير المنار (1/ 324).

(52) انظر: مفاتيح الغيب (3/ 612)، تفسير البحر المحيط (1/ 489)، محاسن التأويل (1/ 360)، التحرير والتنوير (1/ 622).

(53) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص121).

قتادة: «القرآن مصدق لما بين يديه من الكتب التي قد خلت قبله»[54]. يقول الطبري: «القرآن: مصدق لما كان قبله من كتب الله، التي أنزلها على أنبيائه ورسله، ومحقق ما جاءت به رسل الله من عنده؛ لأن منزل جميع ذلك واحد، فلا يكون فيه اختلاف، ولو كان من عند غيره كان فيه اختلاف كثير»[55]. وجاء في تفسير المنار[56]: «﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أي: مبينا صدق ما تقدمه من الكتب المنزلة على الأنبياء، أي كونها وحيا من الله - تعالى -، وذلك أن أثبت الوحي وذكر أنه - تعالى - أرسل رسلا أوحى إليهم، فهذا تصديق إجمالي لأصل الوحي، لا يتضمن تصديق ما عند الأمم التي تنتمي إلى أولئك الأنبياء من الكتب بأعيانها ومسائلها». إلى غير ذلك من أقوال المفسرين[57]. وفي كلام الشيخ محمد رشيد رضا توجيه صريح: أن القرآن الكريم جاء مصدقا للكتب المنزلة قبله من السماء على عباد الله الأنبياء، ولكنه لا يشهد لصحة الكتاب المقدس الموجود الآن عند أهل الكتاب؛ فإن القرآن قد بين ما وقع فيه من التبديل والتحريف.

ثامناً: وأما قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾ (آل عمران:81)، فمعناه: أنه ﷻ أخبر بأخذ ميثاق النبيين وعهدهم المؤكد بسبب ما أعطاهم من كتاب الله المنزل، والحكمة الفاصلة بين الحق والباطل والهدى والضلال، إنه إن بعث الله رسولا مصدقا لما معهم أن يؤمنوا به ويصدقوه، ويأخذوا ذلك على أممهم، فالأنبياء عليهم السلام قد أوجب الله عليهم أن يؤمن بعضهم ببعض، ويصدق بعضهم بعضا؛ لأن جميع ما عندهم هو من عند الله، وكل ما من عند الله يجب التصديق به والإيمان، فهم كالشيء الواحد، فعلى هذا قد علم أن محمدا ﷺ هو خاتمهم، فكل الأنبياء عليهم السلام لو أدركوه لوجب عليهم الإيمان به واتباعه ونصرته، وكان هو إمامهم ومقدمهم ومتبوعهم[58]. وفي هذه الآية ذكر الطبري أقوالا عدة في تفسير من عنوا في الآية، وخلص

(54) أخرجه الطبري في تفسيره (5/ 181)، وابن المنذر في تفسيره برقم: (208)، بإسناد قوي، انظر: الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، (1/ 396). وقد ورد نحوه عن مجاهد والحسن، والربيع بن أنس. انظر: تفسير الطبري (5/ 180-181)، تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم الرازي، (2/ 587)، موسوعة التفسير المأثور، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، (5/ 13-14).

(55) جامع البيان (5/ 180).

(56) (3/ 129).

(57) انظر: مفاتيح الغيب (7/ 130-131)، أنوار التنزيل (2/ 5)، الجامع لأحكام القرآن (4/ 5)، تفسير ابن كثير (2/ 5).

(58) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص136).

إلى أن المراد: جميع ذلك خبر من الله ﷻ عن أنبيائه أنه أخذ ميثاقهم به، وألزمهم دعاء أممهم إليه والإقرار به. ثم قال: «فتأويل الآية: واذكروا يا معشر أهل الكتاب إذ أخذ الله ميثاق النبيين لمهما آتيتكم أيها النبيون من كتاب وحكمة، ثم جاءكم رسول من عندي مصدق لما معكم لتؤمنن به، يقول: لتصدقنه ولتنصرنه»[59]. وقال ابن كثير رحمه الله: «يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم عليه السلام، إلى عيسى عليه السلام، لمهما آتى الله أحدهم من كتاب وحكمة، وبلغ أي مبلغ، ثم جاءه رسول من بعده، ليؤمنن به ولينصرنه، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بعث بعده ونصرته. إلى أن قال: فالرسول محمد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه، دائما إلى يوم الدين، وهو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر وجد، لكان هو الواجب الطاعة المقدم على الأنبياء كلهم»[60]. إلى غير ذلك من أقوال المفسرين[61]. فالحاصل مما سبق: أن الله تعالى أخذ الميثاق على جميع الأنبياء، يؤذنهم فيه بأن رسولا يجيء مصدقا لما معهم، ويأمرهم بالإيمان به وبنصرته، والمقصود من ذلك إعلام أممهم بذلك؛ ليكون هذا الميثاق محفوظا لدى سائر الأجيال[62]، فإذا بعث النبي ﷺ، كان على أهل الكتاب أن يصدقوا به وينصروه، وأخذ ميثاقهم في كتبهم بذلك. فليس في الآية ما يدل على زعم أهل الكتاب من تصديق القرآن للكتاب المقدس الموجود لديهم الآن، بل على نقيض ذلك أمر الله تعالى الأنبياء وأتباعهم – ومنهم أهل الكتاب – أن يتبعوا القرآن، ويؤمنوا بمحمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين.

تاسعاً: وأما قوله سبحانه: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ ﴾ (الأنعام:92)، فالمراد من الآية: أن القرآن الكريم الذي أنزلناه إليك هو مبارك، أي: وصفه البركة، وذلك لكثرة خيراته، وسعة مبراته. ﴿ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أي: موافق للكتب السابقة، وشاهد لها بالصدق[63]. يقول ابن جرير الطبري رحمه الله: «صدق هذا الكتاب ما قبله من كتب الله التي أنزلها على أنبيائه قبلك، لم يخالفها ولا بنبأ، وهو معنى ﴿ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ ﴾ (الأنعام:91)، يقول: هو الذي أنزل إليك يا محمد هذا الكتاب مباركا مصدقا كتاب موسى وعيسى وغير ذلك من كتب الله»[64].

(59) جامع البيان (5/ 542-544).

(60) تفسير ابن كثير (2/ 67-68).

(61) انظر: المحرر الوجيز (1/ 464)، معالم التنزيل (2/ 62)، مفاتيح الغيب (8/ 278)، الجامع لأحكام القرآن (4/ 124-125)، محاسن التأويل (2/ 342).

(62) انظر: التحرير والتنوير (3/ 298).

(63) انظر: الجامع لأحكام القرآن (7/ 38)، تفسير البحر المحيط (4/ 182)، تيسير الكريم الرحمن (ص264).

(64) جامع البيان (9/ 402).

فالقرآن، مصدق للكتب قبله في إثبات التوحيد، والأمر به، ونفي الشرك، والنهي عنه. وفي سائر أصول الشرائع التي لا تنسخ[65]. إلى غير ذلك من كلام المفسرين[66]. فالقرآن الكريم أنزله الله تعالى مبارك، وتصديق للكتب التي أنزلها الله على رسله، وليس تصديقاً للكتاب المقدس الموجود الآن، فقد ثبت بالدليل القاطع من القرآن العظيم إثبات التحريف والتبديل الذي وقع فيه بنو إسرائيل.

عاشراً: وأما قول الله جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ ﴾ (النساء:47)، فإن الله تعالى أمر أهل الكتاب من اليهود والنصارى أن يؤمنوا بالرسول محمد ﷺ، وما أنزل الله عليه من القرآن العظيم، المهيمن على غيره من الكتب السابقة التي قد صدقها، فإنها أخبرت به، فلما وقع المخبر به كان تصديقا لذلك الخبر، وإن لم يؤمنوا بهذا القرآن، فإنهم لم يؤمنوا بما في أيديهم من الكتب، لأن كتب الله يصدق بعضها بعضا، ويوافق بعضها بعضا[67]. يقول ابن عطية رحمه الله: «هذا خطاب لليهود والنصارى، و﴿ لِّمَا مَعَكُم ﴾ معناه: من شرع وملة، لا لما كان معهم من مبدل ومغير»[68]. وقال محمد رشيد رضا رحمه الله: «القرآن قرر نبوة موسى وداود وسليمان وعيسى عليهم السلام، وصدقهم فيما جاءوا به عن الله تعالى، ووبخ الأقوام المدعين لاتباعهم على إضاعتهم لبعض ما جاءوا به، وتحريفهم للبعض الآخر، وعلى عدم الاهتداء والعمل بما هو محفوظ عندهم، حتى إن أكثرهم هدموا الأساس الأعظم للدين وهو التوحيد، فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم، وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا...، فتصديق القرآن لما معهم لا ينافي ما نعاه عليهم من الإضاعة والنسيان والتحريف والتفريط»[69]. إلى غير ذلك من أقوال المفسرين[70]. فالقرآن الكريم جاء مصدقا للتوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام، وصدق الأنبياء فيما جاءوا به عن الله، ولكن لم يقرَّ أهل الكتاب على إضاعتهم للكتاب، وما وقعوا فيه من التحريف والتفريط كما هو الحال الواقع في الكتاب المقدس

---

(65) انظر: محاسن التأويل (4/ 429-430).

(66) انظر: المحرر الوجيز (2/ 321-322)، مفاتيح الغيب (13/ 64-65)، تفسير البحر المحيط (4/ 182)، فتح القدير، الشوكاني، (2/ 159)، تفسير المنار (7/ 516)، التحرير والتنوير (7/ 370-372).

(67) انظر: محاسن التأويل (3/ 143)، تيسير الكريم الرحمن=

=(ص181).

(68) المحرر الوجيز (2/ 63).

(69) تفسير المنار (5/ 117).

(70) انظر: جامع البيان (7/ 111)، معالم التنزيل (2/ 231)، مفاتيح الغيب (10/ 95)، تفسير ابن كثير (2/ 324)، تفسير البحر المحيط (3/ 278)، روح المعاني (4/ 210)، وراجع: الفصل في الملل والأهواء والنحل (1/ 159).

الموجود لديهم الآن.

حادي عشر: وأما قول الله ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (يونس:37)، فمعناه: أنه غير ممكن ولا متصور، أن يفترى هذا القرآن على الله تعالى، لأنه الكتاب العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، أنزله الله رحمة للعالمين، وحجة على العباد أجمعين، وتصديقا لما بين يديه من كتب الله السماوية المنزلة على الأنبياء، بأن وافقها، وصدقها بما شهدت به، وبشرت بنزوله، فوقع كما أخبرت[71]. يقول ابن كثير رحمه الله: «﴿ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أي: من الكتب المتقدمة، ومهيمنا عليها، ومبينا لما وقع فيها من التحريف والتأويل والتبديل»[72]. وقال ابن عاشور رحمه الله: «وتصديق الذي بين يديه: كونه مصدقا للكتب السالفة، أي: مبينا للصادق منها، ومميزا له عما زيد فيها وأسيء من تأويلها، كما قال تعالى: ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (المائدة:48). قال: وأيضا هو مصدَّق - بفتح الدال - بشهادة الكتب السالفة فيما أخذت من العهد على أصحابها أن يؤمنوا بالرسول الذي يجيء مصدقاً وخاتماً»[73]. إلى غير ذلك من أقوال المفسرين[74].

فالقرآن العظيم أنزله الله تعالى رحمة للعالمين، وحجة على العباد أجمعين، أنزله تصديق الذي بين يديه من كتب الله السماوية المنزلة على الأنبياء، وهو أيضاً مصدَّق - بفتح الدال - بشهادة الكتب السالفة فيما أخذت من العهد على أصحابها أن يؤمنوا بالرسول الذي يجيء مصدقا وخاتما صلوات الله وسلامه عليه، وليس تصديقاً للكتاب المقدس الموجود الآن؛ لوقوع أهل الكتاب في التحريف والتبديل لكتابهم.

ثاني عشر: وأما قوله جل وعلا: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (يوسف:111)، فمعنى قوله: ﴿ تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أي أن القرآن يصدق الكتب السابقة المنزلة كالتوراة والإنجيل والزبور، فيوافقها ويشهد لها بالصحة[75]. يقول ابن كثير رحمه الله: «﴿ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ

---

(71) انظر: فتح القدير (2/ 506)، تيسير الكريم الرحمن (ص364).

(72) تفسير ابن كثير (4/ 268). وانظر: جامع البيان (2/ 182).

(73) التحرير والتنوير (11/ 169).

(74) انظر: زاد المسير (2/ 331)، مفاتيح الغيب (17/ 252-253)، الجامع لأحكام القرآن (8/ 344)، أنوار التنزيل (3/ 113)، روح المعاني (6/ 110)، تفسير المنار (11/ 302)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، (2/ 155).

(75) انظر: فتح القدير (3/ 73)، تيسير الكريم الرحمن (ص407).

ﱡﭐ ﭐ ٱلَّذِى بَيۡنَ يَدَيۡهِ ﱠ أي: من الكتب المنزلة من السماء، وهو يصدق ما فيها من الصحيح، وينفي ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير، ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير»[76]. إلى غير ذلك من أقوال المفسرين[77].

فهذا القرآن لم يكن حديثا مفترى عند ذكره لقَصص الماضين، بل جاء موافقا للكتب التي أنزلها الله على أنبيائه، وأما الكتاب المقدس فإن المتأمل في القرآن الكريم سيجد من الدلائل العظيمة التي تظهر ما وقع فيه أهل الكتاب من التحريف والتبديل والتغيير في كتبهم.

ثالث عشر: وأما قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ (فاطر:31)، فمعناه: أن هذا القرآن ﴿ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ ﴾ من الكتب والرسل؛ لأنها أخبرت به، فلما وجد وظهر، ظهر به صدقها. فهي بشرت به وأخبرت، وهو صدقها، ولهذا لا يمكن أحدا أن يؤمن بالكتب السابقة، وهو كافر بالقرآن أبدا؛ لأن كفره به، ينقض إيمانه بها؛ فإن من جملة أخبارها الخبر عن القرآن، ولأن أخبارها مطابقة لأخبار القرآن[78]. يقول ابن كثير رحمه الله: «﴿ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ وهو القرآن ﴿ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ ﴾ أي: من الكتب المتقدمة يصدقها، كما شهدت له بالتنويه، وأنه منزل من رب العالمين»[79]. إلى غير ذلك من أقوال المفسرين[80]. فسياق الآية دل على أن هذا القرآن المنزل من عند الله هو مصدق للكتب التي أنزلها الله على رسله، وليس مصدقا للعهد القديم الموجود الآن بين يدي أهل الكتاب، الذي وقع فيه تحريف وتبديل وتغيير.

رابع عشر: وأما قوله سبحانه: ﴿ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ لِّسَانًا عَرَبِيّٗا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (الأحقاف:12)، فمعناه: أن الله تعالى ذكر في هذا السياق القرآن العظيم الذي قد وافق الكتب السماوية، فشهد بصِدقها، وصَدَّقها بموافقته لها، وجعله الله لسانا عربيا؛ ليسهل تناوله ويتيسر تذكره[81]. يقول ابن عاشور رحمه الله: «مصدقا لما بين يديه، أي: مخبر بأحقية كل المقاصد التي جاءت بها الكتب السماوية السالفة. وهذا ثناء عظيم على القرآن بأنه احتوى على كل ما في الكتب السماوية، وجاء مغنيا عنها، ومبينا لما فيها، والتصديق يشعر بأنه حاكم على ما اختلف فيه منها، وما

---

(76) تفسير ابن كثير (4/ 427). وانظر: جامع البيان (13/ 403).

(77) انظر: مفاتيح الغيب (18/ 523)، الجامع لأحكام القرآن (9/ 277)، أنوار التنزيل (3/ 179)، تفسير البحر المحيط (5/ 348)، محاسن التأويل (6/ 237).

(78) انظر: فتح القدير (4/ 400)، تيسير الكريم الرحمن= =(ص689).

(79) تفسير ابن كثير (6/ 546). وانظر: جامع البيان (19/ 367).

(80) انظر: مفاتيح الغيب (26/ 238)، التحرير والتنوير (22/ 309).

(81) انظر: فتح القدير (5/ 21)، تيسير الكريم الرحمن (ص780).

حرف فهمه بها»[82]. إلى غير ذلك من أقوال المفسرين[83]. فالقرآن الكريم جاء مصدقاً لما سبقه من الكتب، وحاكماً على ما اختلف فيه منها، وما حرف فهمه بها، ولم يكن قط مصدقاً للكتاب المقدس الموجود لدى أهل الكتاب الآن، لوقوع أهل الكتاب في التحريف والتبديل والتغيير.

خامس عشر: وأما قوله جل وعلا: ﴿ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ (الأحقاف:30)، فمعنى قوله: ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ ﴾ أي: أن القرآن مصدق للكتب المنزلة قبله على الأنبياء، يهدي إلى الحق، وهو الصواب في كل مطلوب وخبر، وإلى طريق مستقيم موصل إلى الله وإلى جنته[84]. يقول ابن كثير: «﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ ﴾ أي: من الكتب المنزلة قبله على الأنبياء. وقولهم: ﴿ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ ﴾ أي: في الاعتقاد والإخبار»[85]. إلى غير ذلك من أقوال المفسرين[86].

فالقرآن الكريم جاء مصدقاً للكتب المنزلة قبله على الأنبياء، وليس للكتاب المقدس الموجود الآن؛ فإن القرآن العظيم قد بين تقصير أهل الكتاب ووقوعهم في التحريف والتغيير، وغير ذلك.

سادس عشر: قول الله سبحانه: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴾ (المائدة:48)، فإن كثيرا من النصارى زعموا – كما تقدم – أن القرآن جاء مهيمنا على الكتب السابقة، أي: رقيبا على جميع الكتب يحفظها من التغيير، وحافظاً لها، ومثبتا، فادعوا كذباً أن كتابهم المقدس الآن محفوظ من التغيير والتبديل والتحريف. ولا شك أن هذا من أبطل الباطل كما سيتبين ذلك من خلال عرض كلام أهل العلم على هذه الآية. وذلك أن الله تعالى بين أنه أنزل على رسوله محمد ﷺ القرآن العظيم، وهو أفضل الكتب وأجلها. ﴿ بِٱلۡحَقِّ ﴾ أي: إنزالا بالحق، ومشتملا على الحق في أخباره وأوامره ونواهيه. ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾؛ لأنه شهد لها ووافقها، وطابقت أخباره أخبارها، وشرائعه الكبار شرائعها، وأخبرت به، فصار وجوده مصداقا لخبرها. ﴿ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ ﴾ أي: مشتملا على ما اشتملت عليه الكتب السابقة، فهو الكتاب الذي تتبَّع كل حق جاءت به

---

(82) التحرير والتنوير (26/ 25). وانظر: جامع البيان (21/ 133-135).

(83) انظر: المحرر الوجيز (5/ 95)، معالم التنزيل (7/ 256)، الجامع لأحكام القرآن (16/ 191)، تفسير ابن كثير (7/ 279).

(84) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص783).

(85) تفسير ابن كثير (7/ 303). وانظر: مفاتيح الغيب (28/ 28)، جامع البيان (21/ 171).

(86) انظر: المحرر الوجيز (5/ 105-106)، محاسن التأويل (8/ 452)، التحرير والتنوير (26/ 60).

الكتب فأمر به، وحث عليه، وأكثر من الطرق الموصلة إليه، وهو الكتاب الذي فيه نبأ السابقين واللاحقين، وهو الكتاب الذي فيه الحكم والحكمة، والأحكام الذي عرضت عليه الكتب السابقة، فما شهد له بالصدق فهو المقبول، وما شهد له بالرد فهو مردود، قد دخله التحريف والتبديل، وإلا فلو كان من عند الله، لم يخالفه[87]. وقد جاءت عدة آثار عن السلف في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ ﴾، فعن ابن عباس قال: «شهيداً»[88]، وعنه: «مؤتمنا عليه»[89]. وعنه أيضا: «المهيمن: الأمين، قال: القرآن أمين على كل كتاب قبله»[90]. وعن قتادة قال: «أمينا وشاهدا على الكتب التي خلت قبله»[91]. وعن سعيد بن جبير قال: «مؤتمنا على ما قبله من الكتب»[92]. وعن الحسن البصري، قال: «مصدقا لهذه الكتب وأمينا عليها»[93]. وعن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، قال: «كل شيء أنزله الله من توراة أو إنجيل أو زبور فالقرآن مصدق على ذلك ، وكل شيء ذكر الله في القرآن فهو مصدق عليها، وعلى ما حدث عنها أنه حق»[94].

وقال عكرمة: دالا، وقال سعيد بن المسيب والضحاك: قاضيا، وقال الخليل: رقيبا وحافظا[95]. وكل هذه المعاني متقاربة كما تقدمت الإشارة إليه، فالقرآن الكريم، شاهد وأمين وحافظ لما أنزله الله من الكتب. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالسلف كلهم متفقون على أن القرآن هو المهيمن المؤتمن الشاهد على ما بين يديه من الكتب، ومعلوم أن المهيمن على الشيء أعلى منه مرتبة»[96]. وقال ابن كثير: «وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن اسم «المهيمن» يتضمن هذا كله، فهو أمين

(87) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص234).

(88) أخرجه الطبري في تفسيره (8/ 486)، من طريق علي بن أبي طلحة عنه، وقد قواه بعض أهل العلم. انظر: العجاب في بيان الأسباب، ابن حجر العسقلاني، (1/ 207)، الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (2/ 178). وعن السدي نحوه، أخرجه الطبري في تفسيره (8/ 486)، من طريق أسباط عنه.

(89) أخرجه الطبري في تفسيره (8/ 487، 489)، وابن أبي حاتم في تفسيره برقم: (6472)، من طريق التميمي عنه.

(90) أخرجه الطبري في تفسيره (8/ 487)، وابن أبي حاتم في تفسيره برقم: (6474)، عن ابن أبي طلحة عنه. انظر: الصحيح المسبور (2/ 178).

(91) أخرجه الطبري في تفسيره (8/ 486)، من طريق سعيد عنه. وانظر: الصحيح المسبور (2/ 178).

(92) أخرجه الطبري في تفسيره (8/ 489)، من طريق علي بن بذيمة عنه.

(93) أخرجه الطبري في تفسيره (8/ 489)، وابن أبي حاتم في تفسيره برقم: (6475)، من طريق أبي رجاء عنه.

(94) أخرجه الطبري في تفسيره (8/ 490)، من طريق ابن وهب عنه.

(95) انظر: معالم التنزيل للبغوي (3/ 65).

(96) مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وإعداد: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (17/ 43).

وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم، الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها، أشملها وأعظمها وأحكمها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره؛ فلهذا جعله شاهدا وأمينا وحاكما عليها كلها»(97). يقول الطبري رحمه الله: «يقول: أنزلناه بتصديق ما قبله من كتب الله التي أنزلها إلى أنبيائه، ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ يقول: أنزلنا الكتاب الذي أنزلناه إليك يا محمد مصدقا للكتب قبله، وشهيدا عليها أنها حق من عند الله، أمينا عليها، حافظا لها. ثم قال: وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»(98). وقال ابن عطية: «والقرآن جعله الله مهيمنا على الكتب يشهد بما فيها من الحقائق، وعلى ما نسبه المحرفون إليها فيصحح الحقائق، ويبطل التحريف، وهذا هو شاهد ومصدق ومؤتمن وأمين»(99). وقال الشوكاني: «إن القرآن صار شاهدا بصحة الكتب المنزلة، ومقررا لما فيها مما لم ينسخ، وناسخا لما خالفه منها، ورقيبا عليها وحافظا لما فيها من أصول الشرائع، وغالبا لها لكونه المرجع في المحكم منها والمنسوخ، ومؤتمنا عليها لكونه مشتملا على ما هو معمول به منها وما هو متروك. ثم قال: ومعنى الآية: أنه جعل التوراة لأهلها، والإنجيل لأهله، والقرآن لأهله، وهذا قبل نسخ الشرائع السابقة بالقرآن، وأما بعده فلا شرعة ولا منهاج إلا ما جاء به محمد ﷺ»(100). وفي تفسير المنار(101): «مصدقا لما تقدمه من جنس الكتب الإلهية؛ كالتوراة والإنجيل، أي: ناطقا بتصديق كونها من عند الله، وأن الرسل الذين جاءوا بها لم يفتروها من عند أنفسهم. وأما قوله: ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ أي: على جنس الكتاب الإلهي، فمعناه أنه رقيب عليها وشهيد، بما بينه من حقيقة حالها في أصل إنزالها، وما كان من شأن من خوطبوا بها، من نسيان حظ عظيم منها وإضاعته، وتحريف كثير مما بقي منها وتأويله، والإعراض عن الحكم والعمل بها، فهو يحكم عليها؛ لأنه جاء بعدها. ثم قال: والظاهر من مجموع الأقوال أن المهيمن على الشيء هو من يقوم بشؤونه، ويكون له حق مراقبته والحكم في أمره بحق. ثم قال: والقرآن يفسر بعضه بعضا، وحسبهم أنه قال في هذه السورة نفسها في كل من أهل التوراة والإنجيل أنهم نسوا حظا مما ذكروا به، كما قال في سورة النساء قبلها إنهم ﴿ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾، وقال فيهما جميعا: إنهم كانوا يحرفون الكلم عن مواضعه، وقال النبي ﷺ: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم). ثم ذكر رحمه الله أن سبب ذلك: هو أن أهل

(97) تفسير ابن كثير (3/ 127–128). وانظر: (1/ 17).

(98) تفسير الطبري (8/ 486).

(99) المحرر الوجيز (2/ 199). وانظر: معالم التنزيل للبغوي (3/ 65).

(100) فتح القدير (2/ 55–56).

(101) (6/ 340–341).

الكتاب لنسيانهم بعض ما أنزل إليهم، وتحريفهم لبعضه، بطلت الثقة برواياتهم، فالمصدق لها عرضة لتصديق الباطل، والمكذب لها عرضة لتكذيب الحق، إذ لا يتيسر لنا أن نميز فيما عندهم بين المحفوظ السالم من التحريف وغيره، فالاحتياط ألا نصدقهم ولا نكذبهم، إلا إذا رووا شيئا يصدقه القرآن أو يكذبه، فإنا نصدق ما صدقه، ونكذب ما كذبه؛ لأنه مهيمن على تلك الكتب، وشهيد عليها، وشهادته حق؛ لأنه نزل بالحق، وحفظه الله من التحريف والتبديل». إلى غير ذلك من أقوال المفسرين[102]. فمن خلال العرض السابق يتبين أن المراد من الآية ليس ما ادعاه النصارى: أن القرآن رقيب يحفظ الكتاب المقدس من التغيير، فإن هذا المفهوم باطل، ولم يدل عليه القرآن الكريم ولا أقوال المفسرين. بل القرآن الكريم، هو الكتاب الذي تتبَّع كل حق جاءت به الكتب فأمر به، وحث عليه، وصار شاهدا بصحة الكتب المنزلة، ومقررا لما فيها مما لم ينسخ، وناسخا لما خالفه منها، ورقيبا عليها وحافظا لما فيها من أصول الشرائع، وغالبا لها لكونه المرجع في المحكم منها والمنسوخ، ومؤتمنا عليها لكونه مشتملا على ما هو معمول به منها، وما هو متروك. فما شهد له القرآن بالصدق فهو المقبول، وما شهد له بالرد فهو مردود، قد دخله التحريف والتبديل. فيصحح الحقائق، ويبطل التحريف، وهذا معنى كون القرآن: شاهدا ومصدقا ومؤتمنا وأمينا، وحافظاً، ورقيباً[103]. هذا ما تم عرضه من أقوال العلماء في تفسير الآيات السابقة التي فيها تصديق القرآن الكريم لما قبله من الكتب المنزلة على رسل الله، وبيان معنى هيمنته عليها، وبان بما تقدم أنها لا تدل على صحة الكتاب المقدس الموجود الآن.

***

المبحث الثالث

أوجه تصديق القرآن وهيمنته على الكتب المنزلة على رسل الله تعالى

يعد هذا المبحث تتمة لما سبق تقريره من بيان معنى تصديق القرآن الكريم للكتب السابقة التي أنزلها الله على رسله عليهم السلام، وتوضيح مفهوم هيمنة القرآن من خلال أقوال أهل العلم من المفسرين وغيرهم، ولهذا نبه أهل العلم على بعض تلك الأوجه بإجمال. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «أنزل عليه الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه، فصدق كتابه ما بين يديه من كتب السماء، وأمر بالإيمان بجميع الأنبياء،...

(102) انظر: زاد المسير (1/ 554)، مفاتيح الغيب (12/ 371)، الجامع لأحكام القرآن (6/ 209)، تفسير البحر المحيط (3/ 512)، محاسن التأويل (4/ 156)، التحرير والتنوير (6/ 221).

(103) انظر: المحرر الوجيز (2/ 199)، فتح القدير (2/ 55ــ 56)، تيسير الكريم الرحمن (ص234).

وهيمن على ما بين يديه من الكتاب، وذلك يعم الكتب كلها، شاهدا وحاكما ومؤتمنا، يشهد بمثل ما فيها من الأخبار الصادقة. وقرر ما في الكتاب الأول من أصول الدين وشرائعه الجامعة التي اتفقت عليها الرسل، كالوصايا المذكورة في آخر الأنعام، وأول الأعراف، وسورة سبحان، ونحوها من السور المكية»[104]. ومما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان أوجه هيمنة القرآن الكريم إجمالاً: «وهكذا القرآن فإنه قرر ما في الكتب المتقدمة من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر وزاد ذلك بيانا وتفصيلا. وبين الأدلة والبراهين على ذلك وقرر نبوة الأنبياء كلهم ورسالة المرسلين، وقرر الشرائع الكلية التي بعثت بها الرسل كلهم. وجادل المكذبين بالكتب والرسل بأنواع الحجج والبراهين وبين عقوبات الله لهم ونصره لأهل الكتب المتبعين لها، وبين ما حرف منها، وبدل، وما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة، وبين أيضا ما كتموه مما أمر الله ببيانه، وكل ما جاءت به النبوات بأحسن الشرائع والمناهج، التي نزل بها القرآن، فصارت له الهيمنة على ما بين يديه من الكتب من وجوه متعددة، فهو شاهد بصدقها وشاهد بكذب ما حرف منها، وهو حاكم بإقرار ما أقره الله، ونسخ ما نسخه، فهو شاهد في الخبريات حاكم في الأمريات»[105].

(104) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، (1/ 63-64).

(105) مجموع فتاوى ابن تيمية، (17/ 44).

وفيها يلي بيان أوجه تصديق القرآن وهيمنته على الكتب المنزلة على رسل الله تعالى.

المطلب الأول: أوجه تصديق القرآن الكريم للكتب المنزلة على رسل الله تعالى.

ذكر أهل العلم عدة أوجه يظهر فيها تصديق القرآن الكريم للكتب التي أنزلها الله على رسله، يمكن تلخيص ذلك وفق ما يأتي:

1 - التصديق لأصل الوحي وبيان وحدة المصدر.

فالقرآن جاء مصدقا للكتب المنزلة من عند الله تعالى، قد دعت كلها إلى مقاصد الدين من التوحيد والإيمان وغير ذلك، مما يدل على وحدة المصدر وأن هذه الكتب المنزلة من التوراة والإنجيل والقرآن هي كلام الله ﷻ، أوحاها الله إلى رسله، وأن الرسل جاءوا بها من عند الله لم يفتروها من عند أنفسهم، فالغاية الواحدة من هذا التنزيل يوضح وجه تصديق القرآن لهذه الكتب، وأنها كلها وحي من الله تبارك وتعالى، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ (النحل:36)، وهذا يدل على أن جميع هذه الكتب حق من عند الله تبارك وتعالى[106]. ومن جهة أخرى فإن الوعد الوارد في هذه الكتب بمجيء الرسول الذي هو خاتمهم، ونزول القرآن بخبر ذلك الوعد، وإظهاره صدق ما

(106) انظر: جامع البيان للطبري (5/ 180)، (13/ 403)، زاد المسير (1/ 60)، تفسير المنار (3/ 129)، (6/ 339).

وعدت به تلك الكتب، دال على أنها كلها من عند الله تبارك وتعالى[107].

2- تصديق البشارة بإنزال القرآن وإرسال محمد ﷺ. وذلك بموافقة القرآن ما جاء في الكتب المتقدمة من الأمر باتباع محمد ﷺ، وما جاء به من عند الله، وورود البشارات فيها بمبعث النبي ﷺ، وذكر الأوصاف التي نعت بها النبي ﷺ، فجاء القرآن مصدقاً لذلك، وجاءت أوصاف النبي ﷺ مطابقة وموافقة لما أخبرت به الكتب السابقة وبشرت. فقد حصلت البشارة بالقرآن الكريم وبمحمد ﷺ في التوراة والإنجيل، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ ﴾ (البقرة:146)، وقال جل وعلا: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ ﴾ (الأعراف:157). فكان الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن تصديقا للتوراة والإنجيل، وتكذيب محمد ﷺ والقرآن تكذيبا للتوراة والإنجيل[108].

3- الموافقة في مقاصد الدين، وأصوله، وشرائعه الجامعة التي اتفقت عليها الرسل، والأخلاق، والفضائل. إن قواعد الدين وأصوله التي دعا إليها القرآن الكريم هي ذاتها الأصول التي وردت على ألسنة الأنبياء، والثوابت التي أتت بها الكتب السماوية، لا يختلفون فيها، قال الله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ﴾ (الشورى:13). كما اتفقت الكتب المنزلة في الاعتقاد والتوحيد، والأصول الجامعة في الشرائع، والآداب، والفضائل، قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ (البقرة:83). فدين الأنبياء والمرسلين دين واحد، وإن كان لكل من التوراة والإنجيل والقرآن شرعة ومنهاج. كما جاء تصديق القرآن الكريم لما في الكتب الإلهية السابقة من القَصص وأخبار الأنبياء، فجاءت مطابقة لما في التوراة والإنجيل، مع أن النبي ﷺ لم يطلع على ذلك، ولا سأل عنه. وهذا يدل على أن الله تعالى هو الذي أوحى بذلك إلى النبي محمد ﷺ. وهذا التصديق لا ينافي وقوع أهل الكتاب في تحريف

=الشنقيطي في التفسير، جمع: خالد السبت، (1/ 505).

(107) انظر: التحرير والتنوير (7/ 371).

(108) انظر: جامع البيان (2/ 255، 299)، المحرر الوجيز (5/ 95)، معالم التنزيل (1/ 87)، زاد المسير (1/ 60)، مفاتيح الغيب (3/ 483)، (10/ 95)، (12/ 370)، (29/ 528)، الجامع لأحكام القرآن (8/ 343)، أنوار التنزيل (1/ 76)، تفسير ابن كثير (1/ 243)، (2/ 5، 324)، (3/ 127)، فتح القدير (2/ 507)، تفسير المنار (1/ 324)، (11/ 302)، التحرير والتنوير (11/ 169)، العذب النمير من مجالس=

كتابهم، وتبديل دينهم، ولهذا فإن القرآن الكريم يقرر ما فيها من الحق، ويبطل ما حرف منها، وينسخ ما نسخه الله، فيقرر الدين الحق، ويبطل الدين المبدل الذي لم يكن فيها[109].

4- تصديق القرآن الكريم للكتب السابقة دال على إعجاز القرآن الكريم. إن أوجه التصديق السابقة للكتب التي أنزلها الله ﷻ، دالة على إعجاز القرآن الكريم؛ فإن النبي ﷺ بعث أميا، لم يكتب له الاطلاع على الرسالات السابقة، فتصديقه لما جاءت به الكتب المنزلة من عند الله من الحقائق، دليل على الإعجاز الذي اتصف به هذا الكتاب العزيز. قال الشوكاني: «كان هذا القرآن تصديق الذي بين يديه من الكتب المنزلة على الأنبياء، ونفس هذا التصديق معجزة مستقلة، لأن أقاصيصه موافقة لما في الكتب المتقدمة مع أن النبي ﷺ لم يطلع على ذلك، ولا تعلمه، ولا سأل عنه، ولا اتصل بمن له علم بذلك»[110].

إلى غير ذلك من الأوجه التي ذكرها أهل العلم[111].

المطلب الثاني: هيمنة القرآن الكريم على الكتب المنزلة على رسل الله تعالى.

إن هيمنة القرآن على الكتب السابقة قد بينه أهل العلم من وجوه متعددة، فهو شاهد بصدقها وشاهد بكذب ما حرف منها، وهو حاكم بإقرار ما أقره الله، ونسخ ما نسخه، ومؤتمن عليها لكونه مشتملا على ما هو معمول منها، وما هو متروك، ويمكن تجلية ذلك في الوجوه التالية:

1- إخبار القرآن الكريم بتحريف الكتب وتبديلها وتأويلها. لقد شهد القرآن الكريم على ما أحدثه أهل الكتاب في كتبهم من تحريف وتأويل باطل، وتبديل للنصوص، وتغيير، وأنها لم تبق على ما كانت عليه من بيان الحق عند نزولها على الأنبياء، بل تناولتها أيدي أهل الكتاب بالتحريف والتبديل، والتأويل الفاسد، يقول الله تعالى: ﴿ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ

(109) انظر: جامع البيان (8/ 495)، المحرر الوجيز (1/ 76)، معالم التنزيل (1/ 87)، (2/ 6)، مفاتيح الغيب (3/ 603)، (7/ 131)، (13/ 65)، (17/ 253)، (28/ 28)، الجامع لأحكام القرآن (7/ 38)، (8/ 344)، أنوار التنزيل (1/ 76)، فتح القدير (2/ 55، 159، 506)، تفسير المنار (1/ 242، 324)، (5/ 117)، (11/ 302)، التحرير والتنوير (1/ 459)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (2/ 156)، العذب النمير (1/ 505). وراجع: مجموع فتاوى ابن تيمية، (19/ 184-185)، الجواب الصحيح (1/ 64-67)، (2/ 272، 428)، بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، (2/ 17).

(110) فتح القدير (2/ 506).

(111) انظر: تصديق القرآن الكريم للكتب السماوية وهيمنته عليها، إبراهيم سلامة، (ص80)، علاقة القرآن الكريم بالكتب الإلهية السابقة، عايدة سليمان، (ص16-20)، مقارنة الأديان بين موريس بوكاي ووليم كامبل، إسماعيل عبد المحسن، (ص180).

يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ (البقرة:75). وقال جل وعلا: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة:79). وقال سبحانه: ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ ﴾ (المائدة: 13). إلى غير ذلك من الآيات. فجاء القرآن الكريم شاهداً للحقائق الموجودة في الكتب المنزلة على الرسل، ومقررا لما فيها مما لم ينسخ، وشاهدا على ما وقع فيها من التحريف، وأبطل الدين المبدل الذي لم يكن فيها، وبين ما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة، فالله ﷻ في كتابه القرآن أبطل الباطل، وأحق الحق بكلماته ﷻ(112). قال ابن كثير واصفا هيمنة القرآن الكريم: «وهو يصدق ما فيها من الصحيح، وينفي ما وقع فيها من تحريف وتبديل، وتغيير، ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير»(113).

2- بيان القرآن الكريم للمسائل الكبرى التي اختلف فيها أهل الكتاب وخالفوا الحق. لقد أوضح القرآن الكريم عدة قضايا جانب فيها أهل الكتاب الحق، واختلفوا فيها بينهم، حتى وقعوا في الشرك والكفر والعياذ بالله تعالى، ففصل القرآن فيها، وبين الحق الذي يجب اعتقاده، وصوب كثيرا من الأخطاء العقائدية وغيرها، قال الله ﷻ: ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ ﴾ (المائدة:17)، وقال سبحانه: ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ ﴾ (المائدة:73). وقال جل وعلا: ﴿ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾ (النساء:157-158). فالقرآن جاء ليصحح الحقائق، ويبطل التحريف والتغيير والتبديل، ولهذا كان شاهداً، ومصدقاً، ومؤتمناً، وحاكماً على ما اختلف فيه منها(114). وقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم مبينا لما اختلف فيه أهل الكتاب من الحق، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾ (النمل:76). يقول القرطبي: «ذلك أنهم اختلفوا في كثير من الأشياء حتى لعن بعضهم بعضا فنزلت، والمعنى: إن هذا القرآن يبين لهم ما اختلفوا فيه لو أخذوا به، وذلك ما حرفوه من التوراة والإنجيل، وما

(112) انظر: المحرر الوجيز (2/ 199)، مفاتيح الغيب (12/ 371)، أنوار التنزيل (2/ 129)، مجموع فتاوى ابن تيمية، (17/ 44)، (19/ 184- 185)، تفسير ابن كثير (4/ 268)، فتح القدير (2/ 55، 56)، تفسير المنار (5/ 117)، (6/ 340)، (7/ 516)، التحرير والتنوير (11/ 169)، (26/ 25)، العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، (1/ 505)، (2/ 526).

(113) تفسير ابن كثير (4/ 427).

(114) انظر: المحرر الوجيز (2/ 199)، التحرير والتنوير (26/ 25)، أضواء البيان (3/ 193)، العذب النمير، (2/ 526).

سقط من كتبهم من الأحكام»[115].

3- **إظهار القرآن الكريم لما أخفاه أهل الكتاب، وكتموه، وبيانه لما نسوه، وتركوا العمل به.** من مظاهر هيمنة القرآن الكريم على ما سبقه من الكتب، أنه قد بين كثيرا من المسائل التي أخفاها أهل الكتاب، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾ (المائدة:15). فالنبي ﷺ أرسله الله بالهدى ودين الحق، فميز به الحق من الباطل والهدى من الضلال والغي من الرشاد، وبين ما وقع فيه أهل الكتاب من إخفاء الحق عن الناس، وكتمانه، فأوضح ما بدلوه وحرفوه وأولوه، وافتروا على الله فيه، وفضحهم ببيان ما كتموه من الحق وأخفوه[116]. كما فصل القرآن العظيم في أحوال أهل الكتاب، وأنهم نسوا حظا مما ذكروا به، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ﴾ (المائدة:14). وهذا النسيان شامل لنسيان علمه، وأنهم نسوه وضاع عنهم، وهو شامل أيضاً لنسيان العمل وتركهم العمل، والتحاكم إلى ما هو محفوظ عندهم من كتبهم، فلم يوفقوا للقيام بما أمروا به، ولهذا كان هذا القرآن مؤتمنا عليها، لكونه مشتملا على ما هو معمول به منها، وما هو متروك[117].

4- **من هيمنة القرآن الكريم: اعتقاد نسخه لجميع الكتب السابقة، وإبطال العمل بالدين المبدل.** إن الله تبارك وتعالى قد تكفل بحفظ القرآن الكريم لفظه ومعناه من أن يتطرق إليه التحريف اللفظي أو المعنوي، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر:9)، وقال سبحانه: ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾ (فصلت:42). ولذلك فإنه مما يجب اعتقاده: أن القرآن الكريم قد نسخ جميع الكتب السابقة التي أنزلها الله على رسله، وقد دعا الشارع الحكيم أهل الكتاب وجميع الإنس والجن إلى الإيمان بالنبي ﷺ، وبما جاء به، واتباع ما بعث به من الكتاب والحكمة، وحكم بكفر كل من لم يتبع كتابه المنزل عليه – كما سبق تقريره – . فما كان عند أهل الكتاب من هذه الكتب كالتوراة والإنجيل وغيرها، في هذه العصور إما:

أ- أن يكون مخالفا للقرآن الكريم، فهذا لا شك أنه قد وصلته أيدي التحريف والتبديل، كما شهد بذلك

(115) الجامع لأحكام القرآن (13/ 231).

(116) انظر: الجواب الصحيح (5/ 78)، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (ص311)، تفسير ابن كثير (3/ 67)، تيسير الكريم الرحمن (ص226)، التحرير والتنوير (26/ 25)، العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، (1/ 505).

(117) انظر: الجامع لأحكام القرآن (6/ 117)، الجواب الصحيح (2/ 377)، تيسير الكريم الرحمن (ص225)، تفسير المنار (5/ 117)، (6/ 340)، (7/ 516).

القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة: 79).

ب- وإما أن يكون القرآن قد شهد بصحته، وهذا نحو مقاصد الدين، وأصوله، وشرائعه الجامعة التي اتفقت عليها الرسل، والأخلاق، كما تقدم ذكره، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (المائدة:48)[118]. فالقرآن يصدق ما في هذه الكتب من الصحيح، وينفي ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير.

ج- وما لا يعلم ثبوته من انتفائه مما جاء في كتبهم، فالواجب في هذا الإمساك عنه، فلا يصدق ولا يكذب، فعن أبي هريرة ﷺ، قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ (البقرة: 136) الآية)[119]. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «أنزل هذا القرآن مهيمنا على ما بين يديه من الكتب، والمهيمن الشاهد المؤتمن الحاكم يشهد بما فيها من الحق، وينفي ما حرف فيها، ويحكم بإقرار ما أقره الله من أحكامها وينسخ ما نسخه الله منها، وهو مؤتمن في ذلك عليها، وأخبر أنه أحسن الحديث وأحسن القصص»[120].

5- من هيمنة القرآن الكريم أنه آخر الكتب وخاتمها، وأشملها وأعظمها وأحكمها، جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره. إن القرآن الكريم هو أعظم كتاب سماوي أنزل على أعظم رسول أرسله الله في الأرض، فهو آخر الكتب السماوية، ونازل على آخر الرسل وخاتمهم ﷺ، جمع الله فيه علوم الكتب السابقة، ولذا صار القرآن مهيمنا على الكتب السابقة. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما القرآن فإنه مستقل بنفسه لم يحوج أصحابه إلى كتاب آخر، بل اشتمل على جميع ما في الكتب من المحاسن؛ وعلى زيادات كثيرة لا توجد في الكتب؛ فلهذا كان مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه يقرر ما فيها من الحق، ويبطل ما حرف منها، وينسخ ما نسخه الله»[121]. ويقول ابن كثير عن هيمنة القرآن: «هو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم، الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها، أشملها وأعظمها وأحكمها، حيث

---

(118) فتح القدير (2/ 55)، وانظر: مفاتيح الغيب (12/ 371)، تفسير ابن كثير (2/ 68)، (4/ 427)، التحرير والتنوير (6/ 221)، (22/ 309)، وراجع: القرآن الكريم ومنزلته بين السلف والمخالفين، (ص785).

(119) أخرجه البخاري، برقم: 4485. وراجع: الجواب الصحيح (2/ 371)، (6/ 462)، تفسير ابن كثير (3/ 528)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، (8/ 170)، (12/ 334)، تيسير الكريم الرحمن (ص55).

(120) الجواب الصحيح (2/ 272). وانظر: (2/ 428).

(121) مجموع فتاوى ابن تيمية، (19/ 184-185).

جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره؛ فلهذا جعله شاهدا وأمينا وحاكما عليها كلها. وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة، فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ (الحجر:9)»[122]. إلى غير ذلك من الأوجه التي ذكرها أهل العلم بالتفصيل[123]. فليس في الأوجه السابقة لتصديق القرآن وهيمنته، ما يدل على ما يزعمه النصارى من صحة الكتاب المقدس لديهم الآن، بل تلك الأوجه تبين أن القرآن الكريم أوضح ما وقع فيه أهل الكتاب من التحريف والتبديل والتغيير.

والحاصل مما تقدم من عرض أوجه تصديق القرآن الكريم، وما سبق من أقوال المفسرين، فإنه يتبين بكل وضوح من خلال تقريرات المحققين من أهل العلم:

1- وحدة المصدر للكتب التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه ورسله، وموافقة القرآن للكتب السابقة في مقاصد الدين، وأصوله، وشرائعه الجامعة التي اتفقت عليها الرسل، والأخلاق، والفضائل، وتصديق البشارة بإنزال القرآن وإرسال محمد ﷺ. فالقرآن العظيم جاء مصدقاً للكتب التي أنزلها الله تعالى، إلا أن الكفار من أهل الكتاب قد حرفوا التوراة والإنجيل بالتبديل والتغيير، وغير ذلك، كما بينه القرآن. فليس في تصديق القرآن الكريم ما يدل على صحة الكتاب المقدس الموجود الآن بين يدي اليهود والنصارى. يقول ابن حزم بعد أن ذكر وجوب الإيمان بالكتب التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله: «إن كفار بني إسرائيل بدلوا التوراة والزبور فزادوا ونقصوا، وأبقى الله تعالى بعضها حجة عليهم كما شاء...، وبدل كفار النصارى الإنجيل كذلك، فزادوا ونقصوا، وأبقى الله تعالى بعضها حجة عليهم كما شاء». ثم قال: «فظهر فساد تمويههم بأننا نقر بالتوراة والإنجيل والزبور، ولم ينتفعوا بذلك في تصحيح ما بأيديهم من الكتب المكذوبة المبدلة والحمد لله رب العالمين»[124].

2- إن تصديق القرآن للتوراة التي أنزلها الله على موسى، وللإنجيل الذي أنزله الله على عيسى عليهما السلام ليس فيه مدح لليهود والنصارى الذين كذبوا نبينا محمداً ﷺ، واتبعوا الدين المبدل المنسوخ. فإذا كان ما ذُكر في القرآن من مدح موسى عليه السلام والتوراة لم يوجب ذلك

(122) تفسير ابن كثير (3/ 128). وانظر: التحرير والتنوير (26/ 25)، العذب النمير (2/ 525).

(123) انظر: تصديق القرآن الكريم للكتب السماوية، إبراهيم سلامة، (ص82، 85-87)، البشارة بالقرآن الكريم وهيمنته على كتب السابقين، هشام محمد طلبه، (ص12-22)، علاقة القرآن الكريم بالكتب الإلهية السابقة، عايدة سليمان، (ص24-26)، مقارنة الأديان بين موريس بوكاي ووليم كامبل، إسماعيل عبدالمحسن (ص193-216).

(124) الفصل في الملل والأهواء والنحل (1/ 157، 158).

مدح اليهود الذين كذبوا المسيح ومحمداً عليهما السلام، وليس فيه ثناء على دين اليهود المبدل المنسوخ باتفاق المسلمين والنصارى. فكذلك أيضا ما ذكر في القرآن من مدح المسيح والإنجيل ليس فيه مدح النصارى الذين كذبوا محمدا ﷺ، وبدلوا أحكام التوراة والإنجيل، واتبعوا المبدل المنسوخ. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وإذا كان مع هذا فشهادة المسيح والحواريين وكل من آمن بالمسيح للتوراة بأنها حق ولموسى بأنه رسول لا يمنع كفر اليهود لكونهم بدلوا شرع التوراة وكذبوا بالمسيح والإنجيل. فكيف تكون شهادة محمد ﷺ وأمته للإنجيل بأنه منزل من عند الله وللمسيح بأنه رسول الله ﷺ مانعة من كفر النصارى مع تبديلهم شرع الإنجيل وتكذيبهم بمحمد ﷺ وشرع القرآن؟»[125]. وقال أيضاً: «واليهود توافق المسلمين على أنه ليس فيها ذكر مدح للنصارى، والنصارى توافق المسلمين على أنه ليس فيها ذكر مدح لليهود بعد النسخ والتبديل. فعلم اتفاق أهل الملل كلها: المسلمون واليهود والنصارى على أنه ليس فيها ذكر في القرآن من ذكر التوراة والإنجيل وموسى وعيسى عليهما السلام مدح لأهل الكتاب الذين كذبوا محمدا ﷺ، ولا مدح لدينهم المبدل قبل مبعثه، فليس في ذلك مدح لمن تمسك بدين مبدل، ولا بدين منسوخ، فكيف بمن تمسك بدين مبدل منسوخ»[126]. ومما تقدم يتقرر أن الله تعالى لم يمدح من النصارى إلا من اتبع المسيح على دينه الذي لم يبدل، ومن آمن بمحمد ﷺ، ولم يمدح النصارى الذين بدلوا دين المسيح، ولا الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ[127].

3- إن القرآن مع تصديق الكتب السابقة المنزلة على أنبيائه، بيّن أن أهل الكتاب بدلوا دينهم وكفروا بالله تعالى. لقد جاءت نصوص كثيرة في القرآن الكريم صريحة في كفر أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين بدلوا دينهم وكتابهم، وكفروا بنبينا محمد ﷺ. قال الله تعالى عن النصارى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ (المائدة:17)، وقال سبحانه: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (المائدة:72)، وقال ﷻ: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (المائدة:73)، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ

(125) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (2/ 383).

(126) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (2/ 289-290).

(127) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (2/ 193، 222-223).

فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ ﴾ (النساء:171). وقال سبحانه: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ (التوبة:30-31). إلى غير ذلك من الآيات.

فالنبي ﷺ لم يصدق شيئا من دينهم المبدل والمنسوخ، ولكن صدق الأنبياء قبله وما جاءوا به، وأثنى على من اتبعهم لا على من خالفهم أو كذب نبيا من الأنبياء. فإن اليهود بدلوا معاني الكتاب الأول وألفاظه، وكذبوا بالكتاب الثاني، وهو الإنجيل، وكذلك النصارى بدلوا ألفاظ ومعاني الكتاب الأول التوراة والإنجيل، وكذبوا بالكتاب الثاني وهو القرآن، وأنهم ادعوا أن محمدا ﷺ صدق بجميع ألفاظ الكتب التي عندهم. ولا حجة لهم في تصديق محمد ﷺ لما هم عليه من الدين الباطل، فإن الكتب الإلهية التي بأيديهم لا تدل على صحة ما كفرهم به محمد ﷺ وأمته، مثل: التثليث والاتحاد والحلول، وتغيير شريعة المسيح، وتكذيب محمد ﷺ. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «الحجة الثانية: قولهم: إن محمدا ﷺ أثنى على دين النصارى بعد التبديل والنسخ، وهي أيضا أعظم كذبا عليه من التي قبلها، كيف يثني عليهم وهو يكفرهم في غير موضع من كتابه، ويأمر بجهادهم وقتالهم، ويذم المتخلفين عن جهادهم غاية الذم ويصف من لم ير طاعته في قتالهم بالنفاق والكفر...قال: وأما ثناء الله ورسوله على المسيح وأمه وعلى من اتبعه وكان على دينه الذي لم يبدل فهذا حق وهو لا ينافي وجوب اتباع محمد ﷺ على من بعث إليه، فلو قدر أن شريعة المسيح لم تبدل وأن محمدا ﷺ أثنى على كل من اتبعها، وقال مع ذلك إن الله أرسلني إليكم لم يكن ذلك متناقضا، وإذا كفر من لم يؤمن به لم يناقض ذلك ثناؤه عليهم قبل أن يكذبوه.

فكيف وهو إنما مدح من اتبع دينا لم يبدل؟ وأما الذين بدلوا دين المسيح فلم يمدحهم بل ذمهم كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾ (المائدة:14). وقد قدمنا أن النصارى كفروا كما كفرت اليهود، كفروا بتبديلهم ما في الكتاب الأول وكفروا بتكذيبهم بالكتاب الثاني. وأما من لم يبدل الكتاب أو أدرك محمدا ﷺ، فآمن به فهؤلاء مؤمنون. ومما يبين ذلك أن تعظيم المسيح للتوراة واتباعه لها وعمله بشرائعها أعظم من تعظيم محمد ﷺ للإنجيل، ومع هذا فلم يكن ذلك مسقطا عن اليهود وجوب اتباعهم

للمسيح، فكيف يكون تعظيم محمد ﷺ للإنجيل مسقطا عن النصارى وجوب اتباعه»[128]. وقال أيضاً: «كان كفر النصارى لما بعث محمد ﷺ مثل كفر اليهود لما بعث المسيح عليه السلام، فإن اليهود كانوا قد بدلوا شرع التوراة قبل مجيء المسيح، فكفروا بذلك، ولما بعث المسيح إليهم كذبوه، فصاروا كفارا بتبديل معاني الكتاب الأول وأحكامه، وبتكذيب الكتاب الثاني. وكذلك النصارى كانوا بدلوا دين المسيح قبل أن يبعث محمد ﷺ، فابتدعوا من التثليث والاتحاد وتغيير شرائع الإنجيل أشياء لم يبعث بها المسيح عليه السلام، بل تخالف ما بعث به، وافترقوا في ذلك فرقا متعددة، وكفر فيها بعضهم بعضا، فلما بعث محمد ﷺ كذبوه، فصاروا كفارا بتبديل معاني الكتاب الأول وأحكامه، وتكذيب الكتاب الثاني، كما يقول علماء المسلمين: إن دينهم مبدل منسوخ، وإن كان قليل من النصارى كانوا عند مبعث محمد ﷺ متمسكين بدين المسيح، كما كان الذين لم يبدلوا دين المسيح كله على الحق، فهذا كما أن من كان متبعا شرع التوراة عند مبعث المسيح كان متمسكا بالحق كسائر من اتبع موسى، فلما بعث المسيح صار كل من لم يؤمن به كافرا، وكذلك لما بعث محمد ﷺ صار كل من لم يؤمن به كافرا»[129]. فالله تعالى أنزل القرآن مصدقا ومهيمنا على ما بين يديه من الكتب، والمهيمن الشاهد المؤتمن الحاكم يشهد بما فيها من الحق، وينفي ما حرف فيها، ويحكم بإقرار ما أقره الله من أحكامها، وينسخ ما نسخه الله منها، وهو مؤتمن في ذلك عليها، ومع ذلك فقد حكم بكفر اليهود والنصارى الذين بدلوا في الكتاب، وتمسكوا بشرع مبدل منسوخ، وكفروا بمحمد ﷺ، وليس في ذلك مدح لمن تمسك بشرع مبدل فضلا عمن تمسك بشرع منسوخ، ولم يؤمن بما أرسل الله إليه من الرسل وما أنزل إليه من الكتب[130].

4- إن القرآن الكريم ناسخ للكتب قبله، ومبين أن الدين الذي جاء به محمد ﷺ هو الذي يجب اتباعه.

إن الله تعالى قد بين في كتابه العزيز أن القرآن الكريم هو المهيمن على الكتب السابقة التي أنزلها الله على أنبيائه، ومن خلال عرض كلام أهل العلم فالقرآن الكريم يخبر بتحريف الكتب وتبديلها وتأويلها، ويوضح ما أخفاه أهل الكتاب، وكتموه، ويبين ما نسوه، وتركوا العمل به. وهو أيضاً ناسخ لجميع الكتب السابقة، ومبين أن دين محمد ﷺ هو الذي يجب اتباعه - وقد تقدم تقرير ذلك فيما سبق -.

فما ادعاه بعض النصارى من حفظ القرآن للكتاب المقدس لديهم الآن هو كلام باطل، لا أساس له

(128) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (2/ 221ـ 223).

(129) المرجع السابق (1/ 368-369).

(130) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (1/ 109-110، 337-339)، (2/ 272، 376-377، 383، 384، 407)، (3/ 8-11)، (5/ 65)، مجموع الفتاوى (35/ 364-365).

من الصحة، ولا مستند لهم على ذلك؛ فالقرآن صار شاهدا بصحة الكتب المنزلة على الأنبياء، وحافظا لما فيها من أصول الشرائع، ومقررا ما أقره الله من أحكامها مما لم ينسخ، وناسخا لما نسخه الله منها، ونافياً ما حرف فيها، وغالبا لها لكونه المرجع في المحكم منها والمنسوخ، ومؤتمنا عليها لكونه مشتملا على ما هو معمول به منها وما هو متروك. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فدين الأنبياء واحد وهو دين الإسلام كلهم مسلمون مؤمنون كما قد بين الله في غير موضع من القرآن؛... فمن تمسك بالمنسوخ دون الناسخ فليس هو على دين الإسلام، ولا هو متبع لأحد من الأنبياء، ومن بدل شرع الأنبياء وابتدع شرعا فشرعه باطل لا يجوز اتباعه. ولهذا كفر اليهود والنصارى؛ لأنهم تمسكوا بشرع مبدل منسوخ، والله أوجب على جميع الخلق أن يؤمنوا بجميع كتبه ورسله، ومحمد ﷺ خاتم الرسل؛ فعلى جميع الخلق اتباعه، واتباع ما شرعه من الدين، وهو ما أتى به من الكتاب والسنة، فما جاء به الكتاب والسنة هو الشرع الذي يجب على جميع الخلق اتباعه؛ وليس لأحد الخروج عنه»[131]. ولبيان هذه الحقيقة يقول القرافي رحمه الله: «أما تصديق القرآن لما بين يديه فمعناه أن الكتب المنزلة المتقدمة عند نزولها قبل تغييرها، وتخبيطها، كانت حقا موافقة للقرآن، والقرآن موافق لها، وليس المراد الموجودة اليوم، فإن لفظ التوراة والإنجيل ينصرف إلى المنزلين، وسأبين أن الموجود الآن غيرهما في كثير من المعاني والوجوه» ثم بين رحمه الله شيئا من التناقضات في الأناجيل الأربعة وغيرها[132].

وبهذا أكون قد انتهيت من هذا البحث، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحب أجمعين.

* * *

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد: فإنه يحسن عند خاتمة هذا الباحث تسجيل أهم النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال عرض مادته العلمية وفق تقسيمات البحث، ويمكن أن يتجلى ذلك في الأمور الآتية على سبيل الإيجاز:

1 - بيان منزلة الإيمان بالكتب عند المسلمين، وأنه من أركان الإيمان اعتقاد صدق الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله.

---

(131) مجموع الفتاوى (35/ 364-365).

(132) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، (ص99-100، 109). وانظر: الجواب الصحيح (2/ 368-385)، وراجع: الفصل، لابن حزم (1/ 157، 158، 159)، حول القرآن الكريم والكتاب المقدس مفتريات فاندر على القرآن الكريم وردها، لهاشم جوده، (ص27-29، 62، 98، 171).

2- الإيمان بوقوع التحريف في الأسفار المقدسة لدى النصارى، وأن أيدي أهل الكتاب قد تسلطت عليها بالتبديل والتغيير، والتزوير.

3- تصديق القرآن الكريم للكتب السابقة، وبيانه لوقوع أهل الكتاب في التحريف، وكتمان الحق، وإخفائه.

4- بيان المعاني الصحيحة التي دلت عليها نصوص القرآن الكريم في التصديق والهيمنة، وبيان موقف علماء الإسلام من دعوى النصارى.

5- بيان أوجه تصديق القرآن وهيمنته على الكتب المنزلة على أنبياء الله تعالى.

6- توضيح منهج علماء الإسلام في الدفاع عن القرآن الكريم، والرد على شبهات المخالفين من النصارى، وإبطال ديانتهم الوثنية.

كما أوصي طلاب العلم أن يحرصوا على إثراء المكتبة الإسلامية بتسليط الضوء على كثير من الموضوعات التي لا زالت تطرح في المواقع الإلكترونية، وفي القنوات الفضائية، يقصد النصارى من خلالها الطعن في الإسلام وفي القرآن، ومحاولة زعزعة إيمان المسلم، والتأثير عليه بإثارة شبهات متنوعة، تخص القرآن والسنة، والسيرة النبوية، والأحكام الشرعية؛ لنشر الديانة النصرانية، وتعزيز مفاهيمها لدى الناس.

كما أدعو طلاب العلم أن يسلطوا الضوء على الموسوعات التي جمعها المستشرقون حول القرآن الكريم، والمصطلحات الواردة فيه، ففيها كثير من المغالطات، التي يحاولون عرض الإسلام عرضا مشوهاً.

فحري بطلاب العلم التصدي لمثل هذه القضايا ـ بعد بذل الجهد في طلب العلم ـ، والرد عليها، وتفنيدها، وإبطالها، لعظم أثرها على الفرد المسلم، وعائلته ومجتمعه من جهة، وعلى نظرة الغرب إلى الإسلام من جهة أخرى.

والله تعالى أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

فهرس المصادر والمراجع

الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة. القرافي، أحمد بن إدريس، تحقيق: بكر عوض، ط2، القاهرة: شركة سعيد رأفت للطباعة، 1407هـ.

إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. الألباني، محمد ناصر الدين، ط2، بيروت: المكتب الإسلامي، 1405هـ.

استحالة تحريف الكتاب المقدس. خليل، مرقس عزيز، ط5، د.م: كنيسة القديسة مريم العذراء، 2003م.

الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام. وافي، علي عبدالواحد، ط2، القاهرة: نهضة مصر، 2004م.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. الشنقيطي، محمد الأمين، د.ط، بيروت: دار الفكر، 1415هـ.

الإفصاح عن معاني الصحاح. ابن هبيرة، يحيى بن هُبَيْرَة، تحقيق: فؤاد عبد المنعم، د.ط، الرياض: دار الوطن، 1417هـ.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل. البيضاوي، عبد الله بن عمر، تحقيق: محمد المرعشلي، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1418هـ.

بدائع الفوائد. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، د.ط، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.

التحرير والتنوير. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، د.ط، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م.

تصديق القرآن الكريم للكتب السماوية وهيمنته عليها. سلامة، إبراهيم سلامة، *مجلة الجامعة الإسلامية*، المدينة المنورة، مج 12، العدد: 46، 1980م.

تفسير البحر المحيط. أبو حيان، محمد بن يوسف، الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وغيره، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1422هـ.

تفسير القرآن العظيم. ابن أبي حاتم، عبدالرحمن بن محمد الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط3، مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، 1419هـ.

تفسير القرآن العظيم. ابن كثير، إسماعيل بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، الرياض: دار طيبة، 1420هـ.

تفسير المنار. محمد رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا، د.ط، د.م: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق، د.ط، لبنان: مؤسسة الرسالة، 1420هـ.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ابن جرير، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله التركي، ط1، د.م: دار هجر للطباعة والنشر، 1422هـ.

الجامع لأحكام القرآن. القرطبي، محمد بن أحمد، تحقيق: أحمد البردوني، ط2، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ.

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، تحقيق: علي بن حسن وغيره، ط2، الرياض: دار العاصمة، 1419هـ.

حول القرآن الكريم والكتاب المقدس مفتريات فاندر على القرآن الكريم وردها. جوده، هاشم جوده، ط1، القاهرة: مطبعة الأمانة، 1404هـ.

دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية. الخلف، سعود بن عبدالعزيز، د.ط، الرياض: مكتبة أضواء السلف، 1425هـ.

رد افتراءات المبشرين على آيات القرآن الكريم. عبد الله، محمد جمعة، ط1، د.م: د.ن، 1405هـ.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. الألوسي، محمود بن عبد الله، تحقيق: علي عطية، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ.

زاد المسير في علم التفسير. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1422هـ.

السنة. ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن الضحاك، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، د.ط، بيروت: المكتب الإسلامي، د.ت.

شرح السنة. البغوي، الحسين بن مسعود، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط2، بيروت: المكتب الإسلامي، 1403هـ.

شرح صحيح مسلم. محيى الدين النووي، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط2، بيروت، لبنان: دار المعرفة، 1415هـ.

صحيح البخاري. البخاري، محمد بن إسماعيل، إشراف: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، الرياض: دار طوق النجاة،

1422هـ.

الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور. ابن بشير، حكمت، ط1، المدينة المنورة: دار المآثر، 1420هـ.

صحيح مسلم. مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

العجاب في بيان الأسباب. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، ط1، الدمام: دار ابن الجوزي، 1418هـ.

العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير. السبت، خالد السبت، ط2، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، 1426هـ.

عصمة التوراة والإنجيل. جديد، إسكندر، الصفحة الإلكترونية: الحق في مجاوبة المسلمين، د.ت.

عصمة الكتاب المقدس. منصور، يسى، ط2، الإسكندرية: مطبعة الإسكندرية، 1964م.

علاقة القرآن الكريم بالكتب الإلهية السابقة. أبو حاكمة، عايده سليمان، رسالة ماجستير، الأردن: قسم أصول الدين، جامعة آل البيت، 2006م.

فتح الباري شرح صحيح البخاري. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، د.ط، بيروت: دار المعرفة، 1379هـ.

فتح القدير. الشوكاني، محمد بن علي، ط1، دمشق: دار ابن كثير، 1414هـ.

الفصل في الملل والأهواء والنحل. ابن حزم، علي بن أحمد، د.ط، القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ت.

القاموس المحيط. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، ط8، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1426هـ.

القرآن الكريم ومنزلته بين السلف والمخالفين. طاهري، محمد هشام طاهري، ط2، الرياض: دار التوحيد، 1426هـ.

القرآن والكتاب المقدس في نور التاريخ والعلم. كامبل، وليم كامبل، الصفحة الإلكترونية: كلام الحق.

القرآن والمسيحية. شنودة، الأنبا شنودة، *مجلة الهلال*، عدد: 6، 1970م.

كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة. نخبة من العلماء، ط2، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، 1432هـ.

كتاب المسيحية في الإسلام. لوقا، إبراهيم لوقا، الصفحة الإلكترونية: كلام الحق، د.ت.

مجموع فتاوى ابن تيمية. ابن قاسم، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، د.ط، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ.

مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين. السليمان، فهد السليمان، د.ط، الرياض: دار الوطن، 1413هـ.

محاسن التأويل. القاسمي، محمد جمال الدين، تحقيق: محمد باسل، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ابن عطية، عبد الحق بن عطية، تحقيق: عبد السلام محمد، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1422هـ.

مدخل إلى الحوار المسيحي الإسلامي. الحداد، يوسف درة، ط2، د.م: منشورات المكتبة البوليسية، 1986م.

مسند الإمام أحمد بن حنبل. ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وغيره، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1421هـ.

مصادر النصرانية دراسة ونقدا. آلارو، عبد الرزاق آلارو، ط1، الرياض: دار التوحيد، 1428هـ.

معالم التنزيل في تفسير القرآن. البغوي، الحسين بن مسعود، تحقيق: محمد النمر، ط4، الرياض: دار طيبة، 1417هـ.

مفاتيح الغيب. الرازي، محمد بن عمر، ط3، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ.

المفردات في غريب القرآن. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، تحقيق: صفوان الداودي، ط1، بيروت: دار القلم، 1412هـ.

مقارنة الأديان بين موريس بوكاي ووليم كامبل. إسماعيل عبدالمحسن، ط1، القاهرة: دار الإمام البربهاري، 1435هـ.

هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، تحقيق: محمد الحاج، ط1، جدة: دار القلم، 1416هـ.

اليهودية. شلبي، أحمد شلبي، ط6، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1982م.

* * *